٢١٦٥

قطعة
من
حاشية
في
التفسير

٢١٢
جامعة
الرياض

٢١٢ (حاشيه على تفسير القرآن الكريم)، خط القرن
٢ الثاني عشر الهجرى تقديرا
٥٢ ق ٢٣ س ١٥ × ٢١ سم
نسخة جيده، خطها تعليق، ناقصه
الاول.

٢١٦٥
١ـ التفسير، القرآن الكريم وعلومه
أ ـ تاريخ النسخ

تصحيح:

مراجعة بيانات هذه النسخة وقارنتها بما ورد بالنسخة
السادسة ص ٦١ تبين ان الرقم الصحيح هو ٦٥ ٢
وليس ٦٧٨ ٢، فليصحح ك

عزت حسين ، صالح الجبر

١٣٩٦/٦/٢٤ هـ

الرقم: ٦٥ ٢ ع

مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات

اسم الكتاب (قطعة من حاشية على التفسير) الرقم ~~٦٧٨ ٢~~

اسم المؤلف .....؟

تاريخ النسخ ؟

عدد الأوراق ٥٥ ق القياس ١٥×٢١ سم

ملاحظات ناقصة الأول

(تفسير)

٦٥ ٢

ك

محذوف اي كمثل مشكاة وهو خبر لقصه مثل نور وهذه الجملة الاسمية تفسير لما قبلها فلا محل لها من الاعراب وقصه فيها مصباح صفة لمشكاة وقوله دري قرأ ابو عمرو والكسائي بكسر الدال وياء بعدها همزة وهو بناء كثير يوجد في الاسماء نحو سكين وفي الصفات نحو سكير وفسيق من الدرء بمعنى الدفع وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة والمعنى انه يشبه الدر لصفائه ولمعانه ويحتمل ان لا يكون منسوبا بل يكون الاخيرة مقلوبة من الهمزة الاصلية ويكون اصله دُرِّئَ على وزن فُعِّيل كمُرِّيق وهو حب العصفر وهو التوطم قوله وقد قرئ به مقلوبا اي وقد قرئ بكسر الدال وقلب الهمزة ياء قوله يوقد على وزن تفعل فعلا ماضيا مسندا الى ضمير على المصباح ولا يعود على الكواكب لفساد المعنى وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو والثقيل التوقد والاشتعال ومن في قوله من شجرة لابتداء الغاية وثمة مضاف محذوف اي من زيت شجرة والزيتونة بضم الذال الغتيلة وقوله زيتونة بدل من شجرة قوله وقرأ نافع وابن عامر وحفص يوقد بضم الياء من تحت وفتح القاف على بناء المفعول من اوقد والضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اي يوقد مصباح الزجاجة قوله وقرئ توقد بضم التاء من فوق وضم الدال ايضا على مضارع توقد واصله تتوقد بتاءين فحذفت احديهما وتضمير ايضا للزجاجة قوله ويوقد بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد واصله يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذف التاء من فوق وهذا الحذف شاذ غريب اذ لم يتوال مثلان ولم يبق في اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف تنزل وتلظى فان فيه تاءين وابقي منهما يدل على ما حذف قوله لا شرقية صفة لشجرة ودخلت لا لتفيد النفي وقرئ لا شرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اي لا هي شرقية والجملة ايضا في محل الجر على انها صفة لشجرة وكذا قوله يكاد زيتها يضيء وجواب قوله ولو لم تمسسه نار محذوف اي لاضاء لدلالة ما قبله عليه والجملة حالية جيء بها لاستقصاء الاحوال حتى في هذه الحال قوله ومتفئة التفاعل والمتفوءة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس هذا قول ابي عمرو وقال غيره مفتاة ومتفوءة بغير همزة تقبض المضاعة يقال ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحاءً بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح

يعود ه

قلت شجرة الزيتون تزدان بثمرها وقد ابارك فيها سبعين نبيا منهم ابراهيم عليه السلام

ا ر الاشرقية فقط عربية فقط ولا في الجانب الشرقي اذ هو في الجبال الغربية

مثله والمستقبل الضحى في الثلثين جميعا قال تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى قوله نور على نور
اى فكان زيتها نور على نور يعني نور المصباح على نور الزجاجة او نور النار ونور المصباح
ونور الزجاجة او قوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اي نور والذي شبّه به نور الله نور
على نوره والعلم لنا من الامور التي اعتبرها الله تعالى في هذا المثال مما يوجب كمال الضوء فانها
لما المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته وانما اذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته
فكانت اشد انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في بيت صغير فانه يظهر من
ضوءه اكثر مما اذا كان في البيت الكبير وثانيها لما المصباح اذا كان في زجاجة صافية فان
الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة
من الصفاء والشفافة وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور والذي يحقق ذلك ان شعاع
الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل
ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثر
الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها لما ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما
يتقد به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حاله خلاف حاله اذا كان كدرا ورابعها
لما هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى انها كانت
بارزة للشمس في كل حالاته يكون زيتونه اشد نضجا فكان زيته اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه
الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح لما يجعل مثلا لنور الله تعالى قوله الاول
انه تمثيل للهدى اعلم انه لا بد في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به واختلف اهل التفسير في ان المشبه
ههنا اي شيء هو وذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين ان المراد به الهدى الذي هي الآيات
البينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت بذلك
بمنزلة المشكاة تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء
وتم هداية الله تعالى من حيث انها في غاية الظهور والجلاء وانها محفوفة بظلمات اوهام الناس
بمنزلة المصباح الموصوف فانه مع كونه في غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة فان قيل لم شبه الحاصل
بذلك وقد علمنا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير اجيب بانه سبحانه اراد ان يصف الضوء الكامل الذي

بلوح

وقد مر ان الهداية تشبه النور في كونه سببا للانكشاف اي الظهور

بلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات
وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من
تشبيهه بضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم
من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا ابلق وأوفق واما دخول الكاف المشكاة
مع ان المشبه به هو المصباح فحق الكاف ان يدخل عليه فاجاب بان المشكاة لما كانت مشتملة على
المصباح كان دخول الكاف على المشكاة بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعض هذه
الآية مقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكاة لان المشبه به نور الله تعالى هو الذي يكون
معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة او تمثيل لما نور الله قلب المؤمن
وهو نور الايمان والعلوم المتعلقة بمعرفة آيات الله تعالى ومعرفة المبدأ والمعاد والشرايع وهذا
النور وان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذي نوّر قلبه والمقصود
من التمثيل بيان شرف ايمان المؤمن وما في قلبه من المعارف والعلوم قد يبلغ في الصفاء عن الشبهات
والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المتعوتة قوله او تمثيل لما منح الله به عباده من
القوى الدراكة الخمس المرتبة ذكر الامام الغزالي ان القوى الدراكة انواع من حيث انها يظهر بها
اصناف الموجودات وان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احدها القوة الحساسة وهي التي
تتلقى ما تورده الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك وثانيها القوة الخيالية التي تحفظ صور تلك
المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي فوق ما عند الحاجة اليه وثالثها القوة العقلية المدركة
للحقايق الكلية ورابعها القوة الفكرية وهي التي تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها تأليفا
فتستنتج منها ايضا اتيانا علما بالمجهول وخامسها القوة القدسية تختص بها الانبياء وبعض الاولياء
وتتجلى فيها لوايح الغيب واسرار الملك والملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وهذه
المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور التي ذكرها الله تعالى وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالمشكاة من حيث ان محلها اي مأخذها ارتسم فيها من الصور كالكوة
فان الحس المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وكل واحد

تمام

بقول بتوفيقه تعالى وجوه اخر
كلها لما يقتضيه من يقرب دون
بخلاف التشبيه والقرآن كذا
وايضا يمكن الاخوة لقوله
دون الشمس لبعده عنا
ومعناه اقدم العالم بذاته
المشكاة كما مر فتدبر
المعروف
بقاضي
زاده

من تلك الثقب تشبه كوة غير نافذة وهي المشكاة قوله ووجهها اي الظاهر اي ووجه القوة الحاسة
اي الظاهرة لا تدرك ما وراء نفسها وانما تدرك ما هو قدامها كالكوة لا تنظر الى ما وراءها
غير نافذة وايضا اضاءة تاليس بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التي لا تضيء
بالذات بل بواسطة ما وضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تقبل
صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط
الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الانوار الحسية عن الانحاء والزوال ومن حيث انها
تستنير بما تشتمل عليها من المعقولات ~~وتحفظ~~ كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة
العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراك والمعارف كما تضيء المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة
الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدي الى نتايج كثيرة هي بمنزلة ثمرات الشجرة فان الفكرة
تستنتج نتايج هي ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات بذورا لامثالها حتى تؤدي الى ثمرات لا نهاية
لها فبالحري ان يكون مثالها من هذا العالم هي الشجرة المباركة الكثيرة النفع قوله والزيتونة
المثمرة عطف على الشجرة المباركة الاول توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة والثاني توضيح
لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سايرالاشجار من حيث ان ثمرتها هو
الزيت الذي له منافع كثيرة من جملتها انه مادة المصابيح والانوار الحسية وله مزيد
خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان فلذلك افاد ابدال قوله زيتونة عن قوله شجرة مباركة زيادة
تفخيم شان الشجرة قوله انها لا تكون شرقية ولا غربية صفة لقوله والمفكرة ولما اعتبر في جانب المشبه
كونه لا شرقية ولا غربية تعرض لكونه معتبرا في جانب المشبه ايضا لبيان المغايرة من هذا الوجه
فان القوة المفكرة لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولا غربية فلذلك
شبهت بشجرة لا شرقية ولا غربية قوله او لوقوعها بين الصور والمعاني علة ثانية لكون المفكرة لا
شرقية ولا غربية ولما لم يكن انتفاعها مختصا بجانب الصور ولا بجانب المعاني شبهت بشجرة لا شرقية
فقط ولا غربية فقط والموجودات الخارجة لما كانت متحققة بالاصالة وكانت المعاني بحسب الاغلب
منتزعة منها بافاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات
شتى كان جانب الصور شبيه بكونه شرقيا وجانب المعاني بكونه غربيا وشبه القوة القدسية بالزيت

الذي

مخطوطات جامعة الرياض

الذي يكاد يضيئ من غير ان تمسسه نار فان القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها
لا يحتاج الى تعليم وتنبيه في الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مرتبة حيث
كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل بحسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة
التي هي كالظرف للمصباح قوله او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك اي بما ذكر في الآية من المشكاة
وغيرها كما ذهب اليه ابو علي بن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب
مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد لحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد
على ثلث مراتب اضعفها مرتبة الاستعداد المحض والنفس في هذا المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد
المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الاول وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب
النظرية والنفس في هذا المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوي هو استعداد استحضار
المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس في هذه المرتبة بالعقل
بالفعل وتسمى في مرتبة الكمال وهي مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها بالفعل بالعقل المستفاد
وقد يطلق هذه الاسامي على انفس هذه المراتب ايضا ثم ان حصول المطالب من المبادي الاول
ان كان بترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة في الكيف يسمى تحصيلها بهذا الطريق
فكرا وان لم يكن بطريق الترتيب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق
اسم النور عليها لكونها وسايل الى ظهور المدركات والقوة العقلية في مرتبة العقل الهيولاني
شبيهة بالمشكاة الخالية في بدو الامر عن الانوار الحسية المستعدة للاستنارة بها وفي مرتبة العقل بالملكة
شبيهة بالزجاجة المتلالئة في نفسها الشبيهة بالكوكب الدري القابلة للانوار الفائضة عليها من المبدء
الخارجي وقد تراءى القوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة
الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها منه بالطريق الاول بتمكن الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتون
فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى تكلف اعمال مثل عصر زيتونها وتخريج زيتها وتروية
الفتيلة بزيتها فكذا استحصال المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعمال
فكان قوله تكاد زيتها يضيء من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر
بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتون وكان الزيت في قوله زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق الحدس

بتوقد الزجاجة من الزيت ثم لما القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال اذا قويت وبلغت في
صفائها عن الكدورات الطبيعية اي غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب في غاية القوة
والكمال حتى تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو
تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة الخ لا تحتاج في توقدها
اي لو لم تمس النار بزيتها بل تشتعل بمجرد صفاء الزيت الحاصل فيها فظاهر بما قررنا لما للقوة
العقلية في مرتبة عقلها من تحصيل النظريات ثلث اعتبارات فعقلها منه بطريق الفكر وبطريق
الحدس وبالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجرة وبالاعتبار
الثاني بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذي مسته النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التي لا
تحتاج في توقدها اي لو لم يتصل زيتها بالنار ثم انها لما شبهت في مرتبة العقل بالفعل بالمصباح
الذي اشتعلت فتيلته المشبعة من الزيت بمماسة النار اياها فالمدركات النظرية في هذه
المرتبة ولو لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لا تحتاج
في استحضارها اي بتجشم كسب جديد فصح تشبيهها في هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت في مرتبة
العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم النظرية والنظرية بالفعل
وصارت مشاهدة اياها حصل لها نور على نور اعني نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات
ونور ملكة الانتقال عما اي النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام ان الله تعالى مثل نور الذي
اعطاه الانسان المكرم اعني النور المعنوي الذي هو مراتب النفس الانسان من بداية الاستكمال اي
نهايته وفحواها الفائضة عليها وهي القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكر من المشكاة والزجاجة
والشجرة الزيتونة والزيت الذي مسته النار والزيت الذي يكاد يضيء من غير ان تمسه النار والمصباح
ونور على نور وظاهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور في الاية **قوله** متعلق بما قبله اي صفة لمشكاة
فيتعلق بمحذوف او متعلق بفحواه يوقد وما وردنا يقال المقصود من التمثيل تفخيم شان نور الله
تعالى من حيث الوضوح والجلاء بتشبيهه بما هو في غاية الانارة والجلاء فلا بد لنا من يكون لكل واحد
من القيود المعتبرة في المشبه به مدخلا في ذلك ولا مدخل لكون المشكاة المنعوتة في المساجد ولا
لكون المصباح الكائن فيها يوقد في المساجد في زيادة المصباح المذكور تمام واضارة فاتي

والعقل بالفعال
خزانة النفس التي
فان العلوم التي يحصل
فيها الارواح البشرية
انما يحصل من جهته
سميت بالعقل
الفعال عند ابن
سينا

فايدة في اعتباره في جانب المشبه به اشارة الى دفعه بقطه فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحسينا او مبالغة
فيه فان اصل التحسين قد حصل بباقي القيود المذكورة وباعتبار كونها في المساجد يحصل المبالغة
في التحسين وفي الصحاح تجسير الحظ والشعر وغيرهما تحسينه وقصه او تمثيلا عطف على قصه او
تخسيرا مبني على ان يكون المشبه نور المؤمن فانه لما اعتبر في جانب المشبه به كون المشكاة التي
فيها المصباح واقعة في المساجد لزم ان يعتبر في جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا
فيما يشبه المساجد وهو اما صلوته او بدنه فان كلا واحد من الصلوة والبدن لما كان محلا لانواع
العبادات شابه المسجد كانه قيل مثل ما نور الله به قلب المؤمن وهو في الصلوة او قلبه الموضوع في
بدنه كمثل المشكاة المنعوتة فيكون التشبيه مفرقا شبه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح
الموصوف وصلوته او بدنه بالمسجد **قوله** ولا بناء في جمع البيوت وحدة المشكاة جواب عما يقال كيف
يجوز ان يكون قصه في بيوت صفة مشكاة وهي واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون في بيوت فحاصل
الجواب ان التنوين في قصه كمشكاة وقصه فيها مصباح وقصه في زجاجة وقصه كانها كوكب دري
للنوعية لا للافرادية **قصه** وفيها تكرير جواب عما يقال لاوجه لكون قصه في بيوت متعلقا بالفعل
المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ في بيوت اذن الله يسبح له فيها فيكون قصه فيها تكريرا بلا فايدة
فاجاب عنه بان التكرير لاجل التاكيد كثيرا **قوله** او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت وهذه الجملة مرتبة على
قصه الله نور السموات اي الله نور السموات فسبحوه في بيوت الا انه ترك الظاهر للعلم به كما يقال
قم يدعوك والمراد قم فانه يدعوك **قوله** والمراد بها المساجد اي لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن
الامر وفي البيوت ما لم يأمر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما في قصه تعالى واذ
يرفع ابراهيم القواعد او بمعنى التعظيم ورفع القدر وايضا فيها ما لم يأمر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه
فهذه الاوصاف انما تليق بالمساجد اي مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلثة المسجد الحرام الذي
بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومسجد بيت المقدس الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتناول المسجد الذي فيه الروضة المنورة ومسجد قباء الذي اسس على التقوى تخصيص بلا دليل
قصه والغدو مصدر يقال غدا يغدو غدوا اي دخل وقت الغدوة وهي ما بين صلوة الغداة
وطلوع الشمس والمصدر لا يقع فيه الفعل فلا بد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقصه تعالى بتسبيح

وهذه الجملة جزء
لقوله الله نور
السموات اي هو
يسبح له فيهما

تكرير اسم الله في هذه الجملة
لزيادة التقرير والتاكيد
والتنبيه على شرفه

يسبح بالغدو من قبيل آتيك طلوع الشمس اي وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر
دلنا الآصال فواعل للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر اما المغرب كشريف واشراف فجمع
الاصيل ايضا على اصل والآصال واصائل قوله وقرأ ابن عامر وعاصم اي برواية ابي بكر عنه فانه تفرد
على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقي السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلثة
اعني له فيها بالغدو ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لا قبل يسبح له فيها فكان
قبل من يسبحه فقيل رجال اي يسبحه رجال كما في قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يبكيه
فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث في بعض
الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على كلمتا والفعل اي الاوقات المذكورة بعد وكون البقعة
زايدة والاصل تسبح الغدو والآصال بمعنى تسبح الاوقات التي يعبر عنها بالغدو والآصال جعل الاوقات
مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح ربث هذه الاوقات فيها قوله وفيه ايماء بانهم تجار الا انهم
مع ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله شيء من ضروب المعاملات وقيل نزلت الآية في الذين لا يشتغلون
بالتجارة والبيع بل كانوا قرغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف
الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء ووجه الايماء انه لا يقال فلان لا تلهيه التجارة عن كذا الا وهو
تاجر في الاغلب ما ذكر القائل لا يتبادر اليه الاذهان قال الحكيم والله لئن كانوا يتجرون ولكن
اذا جاءت فرايض الله لم يلههم عنها شيء فقاموا بالصلوة والزكوة وزاحم الصلوة انما هما برعاية
جميع ما اعتبره الشارع فيهما من الاركان والشرايط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون
مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو الفا فاجتمع الفان فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقي
اقام ثم ادخلت التاء عوضا من الالف المحذوفة فقيل اقمت الصلوة اقامة ثم حذفت تلك التاء حال
الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام التاء المحذوفة في كونها عوضا عن المحذوف قيل المراد بذكر الله
الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به ما يتناول جميع ما يتضمن ذكر الله تعالى وتخصيص اقام الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر بعد التعميم تعظيم لشانهما لكونهما لانهم اقسام ذكر الله تعالى وفيه تعالى يخافون يوما نجز
لئن يكون نعتا ثانيا للرجال ولئن يكون حالا من مفعول لا تلهيهم ويوما مفعول به لا ظرف على الاظهر
تنقلب صفته يوما قوله وتخصيصه يعني تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن او

لا يظنه

لا يظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة مما احتاج اليه
بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه لئن كان ما اتى به
في الدنيا من اعمال البر كصلة الرحم وقرى الضيف واعتاق الرقاب واغاثة الملهوف ونحو ذلك
مما يعتقد انه ثوابا عليه فهو لا يستحق عليه ثوابا ولئن كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه عقابا
مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فكيف ما كان فهو يعتقد انه له ثوابا عند الله تعالى فاذا وافى عرصة
القيمة ولم يجد الثواب الذي احتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه
حاله حال الظمآن الذي يشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد تعلق قلبه به ورجو
به النجاة عما هو فيه ويقوي طمعه فاذا جاءه ولم يجد شيئا مما حسبه وهو الماء فيعظم عليه
ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثال في غاية الحسن قوله لم يجده شيئا مما ظنه اشاره الى
جواب ما يقال من انه قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله لم يجده شيئا ينفي ما اثبته وهو
تناقض قوله استعراضا اي يوقفه الله تعالى حسابه بان يقول اعرض علي ما عملته وما ادخرته
ليومك هذا واما مجازاة على اعماله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فما حسبه خيرا يعود
عليه شرا وعينا لانه تعالى ابطله بكفره وما طمع فيه ثوابا اعقبه عقابا قوله والضمائر اي الضمائر
الثلث في قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها غير الضمير المنصوب في يراها قوله رسيس الهوى فعيل بمعنى
الفاعل من رسّ الحب في الفؤاد اي ثبت فالرسيس الشيء الراسخ الثابت الذي لا ينفك عما لقيه
وبالجملة جميع ما يصدر عن الكافر من العقايد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله
وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك
العقايد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يدرك بقلبه ولا يسمعه ولا يبصره
ايا ما هو الحق المقبول عند الله فلا يدري الحق ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فيشتد
اصراره على ما هو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة اي
هي معظم الماء الغمر البعيد القعر يغشاه اي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوقه ذلك الموج موج
آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فحكم كان في هذه الظلمات ان يكون حاله خلاف حال من احاط به نور التوفيق
الله تعالى وهدايته ونور الدلايل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع بسيرة العلماء الصالحين

فكانوا في نور على نور **قوله** ام تعلم يعني لان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا يتعلق
به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا انه المراد به التقرير اي قد علمت و
تيقنت بالعقل والاستدلال وعبر عن العلم بالرؤية للدلالة على ان المقصود تقرير العلم التنزيل
منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والايقان وحمل من في السموات والارض على العقلاء
من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان لكل منهما مطلقا لا ينطق بالتسبيح لا يتكلم به بل
المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها من النقايص بلسان المقال وقصد او الملائكة عطف على
قصد اهل السموات وقصد بما يدل متعلق بقصد بنزه ذاته وتخصيص النظير بالذكر على ان يكون كلمة من لما
يعم العقلاء وغيره لكونه اظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته **قوله** اي قد علم انه
على ان يكون علم مستندا الى ضمير اسم الله تعالى ويكون ضمير اصلونه وتسبيحه راجعين اليه كل ويكون
المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله تعالى صلوته اي دعاءه وسؤاله لما يحتاج اليه كيف
يصلي ويسأل في تسبيحه كيف يسبح ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما
يفعلون اي ما يفعله الحيوان اختيارا او ايجادا طبعا من الصلوة والتسبيح وغيرهما **قوله** او علم
كل على ان يكون الضمير كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلوة نفسه وتسبيحها على معنى انهم
يعلمون ما يجب عليهم من الصلوة والتسبيح على ان يكون قصد علم استعارة تبعية بان شبه دلالة
كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم اليه انتفع اختيارا
او طبعا بعلم التسبيح او الصلوة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة
واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكر المصنف وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون
ضمير علم راجعا الى كل وضميرا صلوته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم
صلوة الله وتسبيحه روي عن ابي ثابت انه قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال يا ابا دريا
تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت
يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين
يفهمون كلامنا واشارتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من البهيمة
الذي لا يعرف بهذه الامور فبان يمتنع ذلك منها اولى واما انها لا يعرفون الله تعالى استحال كونها

مسبحة له

وفيه ما شفع
في تفصيل دلايل
وحدانيته

بان الدلالة على كون
بلسان المقال
والحال كما
اشار اليه بقوله
على وصف نقصه
منه

مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم ان شاهد ان الله
سبحانه انهم الطيور وسايرالحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك
فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة بسايرالامور التي يعرفها الناس
فالمصنف اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى بعض ما حمل هذا البعض بقوله مع انه لا يبعد ان يلهم الله
الطير الخ **قوله** فانه الخالق لها الى آخره مع قوله واليه مرجع الجميع اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع
وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدأ جميع الكاينات ومعادها وكفى بهذه معرفة وموعظة **قوله** بان يكون
قزعا وهو بفتحتين قطع من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع ما يقال من ان لفظ بين لا
يستعمل الا مضافا الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شيء واحد وحاصل الجواب ان لفظ
السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة اضافة
بين الى ضميره والركم جعل شيء فوق شيء حتى تجعله مركوما مجتمعا **قوله** اي ينزل مبتدئا من السماء
من جبال فيها من برد بردا على ان يكون من الاولى لابتداء الغاية وهي كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء
على انها مع مجرورها بدل من الاولى بدل اشتمال باعادة العامل ولا يستقيم البدلية الا بتوافقهما في المعنى
فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لا يكون الاولى والثانية الا لابتداء الغاية وبين الجبال بقوله
من برد اي ينزل من جبال في السماء هي برد وقدرت ينزل لان البدل في حكم تكرير العامل فعلى
هذا الوجه وجب ان يكون مفعول ينزل محذوفا وهو بردا لان المنزل من جبال هو البرد برد
ولو جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعول ينزل والمعنى وينزل من السماء
بعض جبال التي هي البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد ولو جعلت الاولى لابتداء و
الثانية للتبعيض يكون المفعول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اي قطع
عظام كائنة في السحاب تشبه الجبال في عظمها او في جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد التحجر يقال
له جبل لتحجره وجموده **قوله** وقد يبرد الهواء اي يعني لما ذكر من السحاب المطر والثلج والبرد
يتكون في اللاغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهواء اما الاول فان البخار
الصاعد لو كان قليلا وكان في الهواء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فرخ يحلل وينقلب هواء وان
كان البخار كثيرا ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اذا لم تبلغ في صعودها

ای الطبقة الباردة من الهواء او لا تبلغ فان بلغت فانها لن يكون البرد قويا او لا يكون فان لم يكن
البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب و
المتقاطر هو المطر وانما لن كان البرد هناك شديدا فلا يخ انما لن يصل البرد اي الاجزاء البخارية قبل
اجتماعها وانعقادها حبات او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا ولن كان
على الوجه الثاني نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهواء وذلك عند ما يبرد الهواء بردا مفرطا
الخ قوله والتصبير اي ضبر به للبرد اي يصيب الله تعالى بذلك البرد من يشاء من الناس فيضر في زرعه وثمرته
وماشيته ويصرفه عمن يشاء فلا يضر في شيء منها قصه ضوء برقه يعني لن اللسنا مقصورا بمعنى الضوء
يقال سنا يسنو سنوا اي اضاء يضيء والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة
ضوئه والبرق الذي يكون صفته ذلك لا بد ولن يكون نارا عظيمة خالصة وان رضة الماء والبرد
فظهور في خلال السحاب يقتضي ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم قصه
فيما تقدم ذكر من عجائب صنعه من قصه يزجي سحابا اي قصه يقلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى
استدل على وحدانيته اولا بقصه الم تر لن الله يسبح له وثانيا بقصه الم تر لن الله يزجي سحابا فالاول
استدلال باحوال اهل السماء والارض والثاني استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال
الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف لن تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتداء
الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه لن كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سواء فسر الماء
بالجنس الذي هو احد العناصر الاربع او ماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا
من نور والجن من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى فنفخنا فنفخنا
ونفخ فيها من روحنا واشار المصنف بقصه حيوان يدب على الارض اي لن الدابة ليست عبارة عن مطلق
ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الارض وسكنه هناك فيخرج عنها الملائكة والجن واشار
الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى عليهما السلام بان المراد من الماء ما هو احد العناصر ويكون مبدأ الخلقة
كونه جزءا من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لا يخ عن رطوبة ما فالظاهر على هذا لن يكون تنوين
دابة للافراد ولن يكون كل بمعنى الجميع ولن يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق
جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبايع من شيء واحد هو عنصر الماء او النطفة فلا بد

لن يكون

لن يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شيء ثم اشار بقصه وقيل
منها متعلق بدابة اي متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة اي جوالا آخر لانه اذا كان المعنى لن كل دابة
كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض بشيء مما ذكر قصه وانما سمي الزحف مشيا بعين لن المشي
هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق في الآية على المرور مطلقا
على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو لن يكون
الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعمل لتلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد تسمية صاحب
المفتاح مجازا مرسلا ويشترط في الاستعارة لن تكون مفيدة متضمنة للمبالغة في التشبيه بان
يدعى التشبيه ويدعى دخول المشبه في عداد المشبه به ولا فايدة في مثل هذا المجاز لكون كل واحد
من اللفظين بمنزلة المرادف للاخر عند المصير اي المراد من اللفظ فان المشي والزحف على
البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسين والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان
يكون مرسونا فاذا استعملت في انف انسان لا يكون فيه من الفائدة ما يكون في استعمال لفظ الاسد
في الرجل الشجاع مثلا الآتي المصوصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لا بتناءه على التشبيه
قصه على الاستعارة او المشاكلة والتخيلة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة تجعل قصد المشاكلة
علة لايثار طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة له صحيح ايضا كما وقع في الكشاف قوله وتذكير
الضمير مع لن ظاهر النظم يقتضي تانيثه لكونه راجعا الى قصه دابة من حيث ان اسم الدابة يقع
على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر من جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم
ناسب لن يعبر عن الاضافة المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك
الاضافة بكلمة من التي حقها لن يطلق على العقلاء قوله والترتيب حيث قدم الزاحف على الماشي على
رجلين وهو الماشي على اربع من حيث لن الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشي من يمشي
بغير آلة المشي اثبت لها ثم مشى من يمشي على رجلين اثبت لها بالنسبة اي مشى من يمشي على اربع
والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبايعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث
لن اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات باشكالها واعضائها وقواها وطبايعها ومقادير ابدانها
واعمارها لا بد ولن يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل ما يشاء قصه نزلت في بشر المنافق عن ابن

كلمة

جامعة الرياض

عباس رض ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق
الى كعب بن الاشرف وهو يقول لن يقول لنبي محمدا يخيف علينا ثم اتفقا احكما ايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رض الله عنه فقال اليهودي
نعم قضى يا رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال
عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق وقد مضت قصتهما في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن
وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رض الله عنه ارض فتقاسماها فوقع الى علي ما لا نصيبه
الماء الا بشقه فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سخنة
لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانا اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فلا نالها
الماء فقال علي بل سلمتها لك رضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه
الى ان يخاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة انا محمد فلست آتيه ولا الى حاكم
اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت والحيف الجور والتظلم ووجه ارتباط
الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلايل الوحدانية والالوهية اولا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم
اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري انه قال هذه الآية
نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر ثم يتوتى بالامتناع
عن قبول حكمه اي يتولى بذلك عن قبوله واطاعته وسلب الايمان عنهم لتولتهم الذي هو من امارات
التكذيب فعلى هذا يكون المراد بالفريقين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان
انما سلب عمن تولى منهم وقبله او انما يتولون عليه مبني على ان يكون الاشارة اي الفريق المتولي منهم
على طريق اللف والنشر المرتب والحاصل ان التضجير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين
ويكون المراد بالتولي التولي عن الاجابة بعد الاتيان بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان يكون للتراخي
الزماني وان يكون لاستبعاد امر التولي عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك
بالمؤمنين اشارة اي الى الفريقين جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى ثم يتولى

صلى الله عليه وسلم

عند قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت اي الله

كانه قيل وبقولهم آمنا بالله الذي ثبتت الوهيته وكمال قدرته وحكمته بالدلائل المذكورة وبرسوله الذي ارسله رحمة للعالمين ثم يتولون عن قبول حكمه في اجلهم

ان بعضهم لا يثبتون على الايمان وبعضهم يثبتون عليه فيكون الاشارة اي الفريق المدلول عنه قوله
اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا جواب عما يقال كيف افرد ضمير يحكم بعد قوله واذا
دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله وسنة رسوله لانه من المعلوم البين انهم لا يدعون الى نفس ذاته تعالى
فانظاهر ان يقال ليحكما بينهم وتقرير الجواب ان الداعي يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن
ذلك الحكم انما يظهر ويتبين لنا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر
هو الرسول فكان ذكر الله تعالى تعظيما عما بالاشعار بمكانته عند الله تعالى وان حكمه في الحقيقة حكم الله
قوله تعالى في قلوبهم مرض لاستفهام تقرير للذم والتوبيخ كما في قوله ألستَ من القوم الذين تعاهدوا
على اللوم فيخاف في سالف الدهر ويقع في مقام المدح والثناء كما قوله ألستُم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راج وكلمة ام في قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة مقدرة ببل والهمزة
اي بل أارتابوا بل اخافون بتين الله تعالى سبب اعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة اي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على سبيل الاستفهام التقريري فقال لنفي ذلك لكفرهم او لميلهم اي ظلم منه الحق عليهم ثم اضرب
عن ذلك قائلا لنفي السبب فيه بل هو اطلاعهم على ما يريبهم في عدله وامانته ثم اضرب عنه اي انه هل هو مجرد
خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا على ما يريبهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما يتعين
الاحتمال الاول للسببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة في
كونها سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام ويكون الاضراب الاخير ابطالا للاحتمالين الاخيرين قوله
وظلمهم عم خلل عقيدتهم بقوله تعالى لان الشرك لظلم عظيم والشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى بين
احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بتين الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول
واطعنا اي سمعنا الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر كان
والاسم لان المصدرية مع ما في حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى
لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما اسما والآخر خبرا وقوله ان يقولوا اسمعنا اعرف
من قوله المؤمنين وذلك لان الفعل المصدر بان المصدرية في تأويل المصدر المضاف اي الى الفاعل فاذا
كان فاعله معرفة كما في هذا المقام كان في معنى المصدر المضاف اي للمعرفة فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره
لان عزل الفعل من فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين لانه اذا لم يضف وقيل قول للمؤمنين

عاد نكرة ولان ان بصلتها يشبه المضمر من حيث انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر اعرف
من قصة المؤمنين لان سيبويه لم يفرق هذه التفرقة بل جوز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما
والآخر خبرا ولم يكن اوغل في التعريف من الاول قوله واسناده اي ضمير مصدر اي ليحكم الحكم
بينهم لان الفعل دال على مصدر فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم
فيمن قرأ بينكم منصوبا اي لقد تقطع بينكم قوله وقالون عن نافع بلا ياء يعني انه قرأ يتقه بكسر القاف
والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحرك
الحرف قبل الهاء كما في يؤده وبؤته وما روي عن نافع مبني على ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة
منوية فلم تعتبر الحركة التي قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة قال مكي كان يجب على من اسكن القاف
ان يضم الهاء لان هاء الكناية اذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما
كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وابقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها مع كسر القاف قوله
وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء اي مع كسر القاف وقرأ حفص يتقه ساكنة القاف مكسورة الهاء ودل
القاف تخفيفا على خلاف القياس لان ما هو على صيغة فعل انما يسكن عينه اذا كانت كلمة واحدة نحو
كبد وكتف وضبر ثم اجرى ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فان تقه من قولنا يتقه بمنزلة كبد
وكتف فسكن وسطه كما سكن وسطها ومنه قوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا بسكون الراء قوله
واقسموا بالله انكارا للامتناع عن حكمه عن مقاتل وغيره قالوا لما بين الله تعالى اعراض المنافقين
عن قبول حكمه عليه السلام اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا
ولم امرتنا بالجهاد جاهدنا فانزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم وجهد ايمانهم منصوب على
انه مصدر فعله المحذوف والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اي يبالغون في اليمين ويبلغون
غاية شدتها ووكادتها من قولهم جهد فلان نفسه اذا بلغ الغلان اقصى وسعها وطاقتها وفي المغرب
جهده اي حمله فوق طاقته وكلفه مشقة من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى
وسع اليمين وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة تبعية شبه مبالغتهم في اليمين بجهد النفس و
تكليفها المشقة فذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدم
المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان الفعل

المحذوف

المحذوف مع ما في حيزه في موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه في حكم الحال
كانه قيل واقسموا بالله مبالغين في تاكيد حلفهم جاهدين ايمانهم قوله جوابا لاقسموا لان اللام الموطئة
في قوله لئن امرتهم جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جوابا للقسم لا جزاء للشرط وكان جزاء الشرط
مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم
واضمر جواب الشرط الا انه جواب على حكاية قول المنافقين حين اقسموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
تعالى كما حكى عنهم نفس قسمهم بقوله واقسموا اذكر المقسم عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجن بطريق
الغيبة فان نفس كلامهم معه عم هكذا والله انا لنقبل جميع احكامك ونطيعك في جميع ما تامرنا به لئن
امرتنا بالخروج لنخرجن فغير الكلام الى الغيبة عند الحكاية قوله امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية
عنه تعالى لانه لو كان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم خاطب به قومه لكان
الظاهر ان يقال اطيعوا الله واطيعوني فان توتوا فانما علي ما حملت من تبليغ الرسالة وليس تطيعوني
تهتدوا وما علي الا البلاغ المبين فلما ذكر النبي عليه الصلوة والسلام في جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه
كلام الله تعالى وخطابه اياهم وانه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبلغ هذا الخطاب اليهم غاية ما في الباب
انه تعالى لم يقل اطيعوني بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة ايماء الى علة وجوب طاعته عليهم وقصد
مبالغة في تبكيتهم علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المبالغة في التبكيت على تقدير ان يكون ابتداء تعالى هو الذي خاطبهم
انه بموجب بذلك ان توجه خطاب الله اليهم ووجود عليهم الزم للحكم والزم للخصم بالنسبة اليه ان يخاطبهم
الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان في خطابه تعالى اياهم من دهشة المخاطب فجزء
عن التزام الجواب ما ليس في خطابه عليه السلام بذلك قوله خطاب للرسول والامة سواء كانت الامة امة
دعوة او اجابة فيكون كلمة من في قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض
من الامة مطلقا ولما اذا كان خطاب منكم له عليه السلام وليس بعض من المؤمنين في يكون من للبيان لا للتبعيض
لان الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض منهم قوله بالتقوية والتثبيت متعلق بقوله وليمكنن يعني
المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى اذا اعز الاسلام ونصر المسلمين على اعداء
الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لاجرم يظهر المسلمون
دين الاسلام متمكنين في الارض مستولين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان ويقرر وقرأ العامة
كما استخلف على بناء الفاعل وقرأ ابو بكر على بناء المفعول فالموصول على الاول منصوب وعلى الثاني مرفوع

وقرأ العامة وليبدلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقراه ابن كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال
من ابدله صلاحا بعد غي بمعنى رزقه صلاحا بعد الغي ويقال بدله الله من الخوف امنا قال ابو العالية
في هذه الآية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه و امروا بالصبر على
اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على
خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه و نضع السلاح فانزل
الله تعالى هذه الآية قصه للاخبار عن الغيب على ما هو به فان الاستخلاف الموعود لاشك انه غيب وقد وجد
هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدعي النبوة ثم انه تعالى
وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضي في قوله آمنوا
وعملوا وخطاب المشافهة في قوله منكم ليستخلفهم استخلافا كاستخلاف بني اسرائيل في مصر والشام بعد
الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذي هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين
بالاجماع فهم المستخلفون في الارض باستخلاف الله تعالى اياهم واختيارهم على غيرهم فان قلت كيف صح ان
يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركائهم في ذلك قلت كانوا هم الاصول والملوك
وسائر الناس اتباعا لهم في ذلك فكانوهم المستخلفون لا غير وقد حصل في ايامهم الفتوح العظيمة وحصل
التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام الخلافة ثلثون سنة ثم
تكون ملكا وكانت خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثنى عشر وخلافة علي
ست سنين رضي الله عنهم اجمعين قصه وقيل الخوف من العدا عطف على قصه من بعد خوفهم من الاعداء
امنا منهم خط او كفر هذه النعمة قال المفسرون اول من كفر بهذه النعم وجحد حقها الذين قتلوا عثمان
رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم من الامن وادخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون
بعد ان كانوا اخوانا متحابين قصه ولا يبعد عطف ذلك بعد تي بعدها بين المتعاطفين بتخلل الفاصل
المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبتني على تحقق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه و
الفاصل يؤكد المغايرة لان المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان
شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان للفاصل ههنا فايدة جليلة وهي الاشعار
بان الجملة المتخللة وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم الآية مما هو مهم بشانه وانها متصلة بما
يتعلق بالمعطوف وهو قوله تعالى فان تولوا كانه قيل فان تولوا عن طاعته فحاضر قوم وانما خرتم

انفسكم

انفسكم لانه عليه السلام قد خرج عن عهدة ما كلف به وانتم فقد بقي عليكم ما كلفتم به من الاعانة والانقياد
على تقدير توليكم فبؤا اخذكم الله تعالى بعذابه في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فبان يستخلف اهل الايمان و
الطاعة ويسلطهم على اهل التولي والعصيان ويعذبهم بايدي المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة فكان
الفاصل متى تتمة المعطوف عليه وقصه ولا يبعد بشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله اطيعوا
الله ولعل وجه ان يكون قصه ولقيموا منزلا بالالتفات من الغيبة الى الخطاب كانه قيل يعبدونني ولا
يشركون بي شيئا ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الرسول وانذين بحسن هذا الالتفات
الخطاب الذي في قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلوة وايتاء الزكوة على قوله يعبدونني ايذانا
بشرفهما وتزيد قدرهما عند الله لانه حينئذ عطف جبرئيل على الملائكة قوله وتعليق الرحمة بها على
تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الرسول على رجاء الرحمة قوله او بالمندرجة بي فيه اي او لتعليق
الرحمة بمجموع الامور التي اندرجت فيه طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على
رجاء الرحمة كما علق الندب بالطاعة في قوله ولم تطيعوا اشتدوا قوله لا تحسبن يا محمد قرأ العامة
لا تحسبن بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان ولم كان لا يتصور منه عليه السلام الا انه نهي عنه مبالغة
في تسليته ولان خطابه في حكم خطاب امته لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هو الاسم
الموصول مع قصه معجزين وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا عاما
لكل ما يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه واذاهم
والمعنى لا تحسبنهم يسبقونا اي يفوتون عذابنا فانه لاحق بهم لا محالة اما عاجلا واما آجلا
ذكر على القراءة بتاء الغيبة ثلثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
والذين كفروا معجزين مفعوليه اي لا يحسبنهم النبي معجزين في الارض والثاني ان يكون الفاعل
الذين كفروا وفي المفعول حينئذ احتمالان الاول ان يكون معجزين في الارض مفعوليه والمعنى لا يحسبن
الذين كفروا احدا يعجز الله تعالى ثابتا في الارض حتى يطمعوا في مثل ذلك اي في ان يعجزوا الله تعالى ويفوتوا
عذابه على ان معجزين اول المفعولين وفي الارض ثانيهما وحق المفعول الاول في باب حسبت ان يكون
معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف محذوف اي احدا يعجز الله وانما كان
احدا واقعا في سياق افادة العموم فجاز وصفه بالجمع للذكر والاحتمال الثاني على تقدير ان يكون الذين

الغنام

فقصه تم فاتحا عليه ما محمد علته بالحجاز المقدر انكم مغلوبه منه

كفروا هو الفاعل ان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعوله الاول لمحذوفا والاصل لا يحسبنهم
الذين كفروا معجزين اي لا يحسبن انفسهم معجزين و الاقتصار على احد مفعولي حسبت
و لئن كان ضعيفا عند البصريين لانه سيق هنا ذلك في الآية كون الفاعل والمفعول من عبارة
عن شيء واحد فاكتفي بذكر اثنين منهما عن ذكر الثالث **قوله** عطف عليه اي على قوله لا يحسبن
الذين كفروا وهي جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلا وجه لعطف احدهما على
الاخرى الا لتشريك الجملة الفعلية الانشائية لما كانت في حكم الاسمية الخبرية جاز ان يعطف عليها
الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لا يغير المعنى الاصلي فكان
قوله لا يحسبن الذين كفروا معجزين في قوة ان يقال الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من
النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز **قصه** والمراد به اي بقصه يا ايها الذين آمنوا خطاب للرجال
المؤمنين و النساء المؤمنات جميعا ولئن كان ظاهره كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاستدلال
بما روي على دخول الفريقين في الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة ولائنث
دخول الغلام عليها بغير استيذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الآية
امر المماليك و الاطفال بالاستيذان و المقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم
في هذه الاوقات بغير اذن ولئن يأمروهم بالاستيذان في هذه الاوقات اذ لو كان المقصود امر
المماليك و الاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء و الخطاب بالمؤمنين وجه وتعلل الوجه في
عدم نداء المماليك و الاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالي و الاولياء الا
ان انهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب ولئن السادات و الاولياء
هم المخاطبون بتعليمهم ما هو في عيالهم و تحت ايديهم و القيام بما يحتاجون اليه في امر دينهم
ودنياهم و التأديب على ذلك لئن آيات تقوسهم عن الامتثال **قوله** بنت ابي مرشد روي
بالشين المعجمة في نسخ القراءات وروي بالنون المثلثة ابي مرثد قبل هذه الآية احد الآيات
المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه وروي عنه رضي الله عنه انه قال وافقني ربي في ثلث في الاستيذان
وفي الحجاب حيث قال تعالى فاسئلوهن من وراء حجاب وفي الاتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وهذه
الآية دلت على ان من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرايع وينهى عن ارتكاب القبايح

فانه تعالى

شانه

فانه تعالى امرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وقال عليه السلام مروهم بالصلوة وهم ابناء سبع و
اضربوهم على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا بلغ الصبي عشر سنين كتب له
حسناته ولا يكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يؤمر بذلك تمرينا له ليعتاده ويسهل عليه بعد
البلوغ **قصه** ثلث مرات منصوب على انه ظرف زمان اي يستأذنكم ثلث اوقات ثم فسر تلك الاوقات
بقصه من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء وقيل انه منصوب
على المصدرية اي ثلث استيذانات لانك اذا قلت ضربت ثلث مرات لا يفهم منه الا ثلث ضربات ويؤيده
قصه عليه السلام الاستيذان ثلث وهذا وجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن ارادة هذا المعنى وهي التفسير
بالاوقات الثلث المذكورة والقيلولة النوم في الظهيرة والالتحاف التغطي يقال التحف بالثوب اي
تغطيت به والتحاف اسم لما يلتحف به وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به فالتحاف كل ثوب تغطيت به
قصه اي هي ثلث اوقات يختل فيها تسترکم يعني انه ثلث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف
قال اولا ليستأذنكم المماليك و الاطفال ثلث مرات ثم فصل الثلث بقصه من قبل صلوة الفجر الآية ثم
اجمل بعد التفصيل فقال هن ثلث عورات لكم تنبيها على علة وجوب الاستيذان عليهم في هذه الاوقات
والعورة الخلل الذي يرى منه ما يراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات
بل هن اوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلا له والمصر اشار اليه
هذا المعنى بقصه هي ثلث اوقات يختل فيها تسترکم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل
اوقاتا له **قوله** وليس فيه ما ينافي آية الاستيذان يعني انه قد قيل تزقصه تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستيذان واجب في كل حال فصار ذلك منسوخا
بهذه الآية في غير هذه الاحوال الثلث فقال المصنف لا منافاة بين ان يستأذن الاحرار البالغون في جميع
الاحوال وبين ان لا يستأذن الاطفال و مماليك المدخول عليه الا في هذه الاحوال الثلث حتى يصار الى
النسخ **قصه** وفيه دليل اي في قصه طوافون عليكم وكذا في الفرق بين هذه الاوقات الثلث وبين
ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها حق دلالة على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام الشرعية
اذا امكن ولئن كل حكم شرعي له علة وتلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم
انما على الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اي المماليك و الاطفال يطوفون عليكم

طائف عليه بعضكم
وحرف الدلالة
عليه منه طوافون

للحذمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستيذان في كل طوفة اي في هذه الاوقات الثلث وغيرها
لضاق عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستيذان فيما وراء هذه الاوقات الثلث قوله تعالى واذا
بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار فليستأذنوا للدخول استيذانا مثل استيذان الذين بلغوا من قبلهم يعني
ان من تجد منه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول في كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدم
بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استيذان العبد البالغ على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول
المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستيذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغوا الحلم بحكم هذه
كما ذهب اليه الحنفية قال الامام الشفعي في تفسير قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا بعولتهن اي قوله او
نسائهن او ما ملكت ايمانهن المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهن اماؤهن ولا يجل لعبد
امرأة لينظر الى مواضع الزينة الباطنة منها ومن الناس من احل بهذه الآية وقال او ما ملكت ايمانهن
يتناول الغلام والجارية جميعا قلنا قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لا تغرنكم هذه الآية فانما نزلت في
الاماء انتهى وقال المصرف تفسيرها او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد ويستدل عليه بالحديث ثم قال
وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي واجاب بهنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال
للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسما للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم قوله تعالى والقواعد جمع قاعد
وهي المرأة التي قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها ولم يدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة قيل
واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة قال الامام الاولى لنا لا تعتبر قعودهن عن الحيض
لان ذلك ينقطع والرغبة فيهن باقية فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لا يكون الا اذا بلغن
في السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن الناس حال من المستكن في القواعد
واللاتي صفة للقواعد لا للنساء وجملة فليس عليهن جناح خبر المبتدأ والفاء فيه لما في المبتدأ من معنى
الشرط لان الالف فيه بمعنى الذي اولان المبتدأ موصوف باسم الموصول لو كان ذلك الموصول مبتدأ
جاز دخول الفاء في خبره فجاز ذلك ايضا اذا كان صفة للمبتدأ او غير متبرجات حال من عليهن قوله الثياب
الظاهرة خص الثياب بالظاهرة لانه تعالى لم يأذن لهن في ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف
العورة كلها قوله من استفذارهم اي من استكراه الاصحاء المواكلة معهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى
ما سبقت عين مواكله اليه وهو لا يشعر والاعرج ينتشج في مجلسه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة

الأمر الصحيح

تجدده

كريهة او جرح يبدو او انف يسيل ونحو ذلك قوله او اكلهم عطف على مواكلة الاصحاء وقوله مخافة
علة لقوله يتحرجون منه اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا
خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم وخزائنهم ويقولون قد احللنا لكم لكي تأكلوا
مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلهم وهم غيب فنزلت رخصة لهم قوله او من
اجابة عطف ايضا على مواكلة الاصحاء يعني لكي ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض اصدقائهم
لطلب الطعام فاذا لم يكن عند طعام يطعمهم يدعوهم ويذهب بهم الى بيوت آبائهم واولادهم
واقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية تحرجوا
عن تناول منكم اي بيعا فعند ذلك امتنع الناس لئلا يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الآية وعلل
المصرح تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال والثقل والجمع
الكلول ولم يجمع هنا لكونه مصدرا في الاصل قوله وبهذا اي انتفاء الحرج في اجابة من يدعوهم الى
البيوت المذكورة واباحة الاكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحا او ما هو قرين
الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الاكل من هذه البيوت بغير
اذن مالكها كان في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه السلام لا يحل مال امرأ مسلم الا عن طيب نفسه
ومما يدل على النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه و
كان في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من لهن الآباء والاخوان وقد عمم بالنهي عن دخول بيوتهن الا
بعد الاذن في الدخول وفي الاكل قوله وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الغزو ان لا فيما يتعلق بالاكل
والمعنى ليس على هؤلاء حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم في ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا
كلام صحيح في نفسه لا سيما آية النفقتين في نفي الحرج عنهم وبهذا مثل ان يستفتيكم مسافر الافطار
في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج في
ان تقدم الحلق على النحر ولم يرض المصنف بهذا ان ويل حيث قال وهو لا يلايم ما قبله ولا ما بعده
فانه قبل اولا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن وقيل آخرا ولا على انفسكم ان تأكلوا فنبه فيها ان نفي
عنه كونه جناحا ولم يتبين ذلك في قوله ليس على الاعمى حرج فينبغي ان تبين بما قبله او ما بعده والقعود
عن الغزو لا يلايم شيئا منهما قوله من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم اي ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت

الحرج في اللغة الضيق واما المراد به هنا عرف الشرع الاثم

كريمة

انتم تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسايراموالكم لان لايتحرجون من اكل طعامهم في بيوت انفسهم
فينبغي لئلا يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم انفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالازواج و
الاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجه
الى نفسه وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه قوله وقيل بيوت المماليك لم يرض بان يفتر ما ملكتم
مفاتحه ببيوت المماليك لان بيوتهم داخلة في عموم قوله تعالى لئلا تاكلوا من بيوتكم فلاوجه لافراده بالذكر
وملك المفاتح كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه فالمعنى ليس عليكم جناح لئلا تاكلوا من اموالكم
يدا عليها لكن لامن اعيانها بل من ابتاعها وغلاتها كثمر البستان ولبن الماشية قوله والمفاتح جمع
مفتح والمفاتيح جمع مفتاح وكلاهما آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب الا
اى خزائنه واريد بالخزائن ما يخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من البيوت قيل الاكل ظاهر الحال على رضى
المالك فلم يذكر مقام الاذن التصريح وربما يحرج الاستيذان وثقل بكم قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه
للاكل منه قيل انطلق رجل يدعى الحارث بن عمرو غازيا واستخلف مالك بن زيد في اهله وخزانته فلم
يأكل منه مالا شيئا حتى مجهودا اى ضعيفا فانزل الله تعالى اوصدقكم قوله فلا حتاج للتخفيف اولاحتاج
بالمنسوخ احتج ابوحنيفة رحمه الله بهذه الآية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لايقطع لان الله تعالى اباح
لهم الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم ولا يلزم منه ان لايقطع اذا سرق من صديقه
لان من اراد سرقة ماله لايكون صديقا له قوله لاختلاف الطعام اي الطاعمين وفي بعض النسخ لاختلاف
الناس والتهم بفتحتين افراط الشره في الطعام والتوانى ضده وحاصل المعنى لاختلاف الناس في قلة
الاكل وكثرته يعني انهم لما حرجوا في الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الاكلة في الاستكثار و
الاستقلال من الطعام انزل الله تعالى هذه الآية وبين انه لاحرج عليهم في ان يأكلوا مجتمعين او متفرقين
والاشتات جمع شتيت والشت مصدر معناه التفرق فوصف به وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض قال
الامام النسفي دل قوله تع ان يأكلوا جميعا على جواز التناهد في الاسفار والتناهد اخراج كل واحد من الرفقة
نفقة على قدر نفقة صاحبه قوله واذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكورة
سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن في بيته وروي مرفوعا
اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل ان المساجد جعل الله تعالى

ضارم

اهل بيتك م

اهل البيت

اهل البيت من المسلمين انفسكم الداخلين ايذانا بان المسلمين كالنفس الواحدة كما في قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم فان لم يكن في البيت احد ولا في المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا
من قبل ربنا او بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روي ان الملائكة ترد
عليه وقيل ان كان في البيت اهل الذمة فليقصد السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يصل بهذا القدر
من التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روي عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد
ولا انسان فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لا يصل به هذا
القول لانه بيان صفة السلام لامن تمام السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مستتر
على طريق قولك قعدت جلوسا كانه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف
صفة لتحية اي تحية ثابتة بامر مشروعة من لدنه ولان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب
الحيوة والسلامة من الله تعالى للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى من الله
الاجابة بزيادة الخير وطيب الحال قوله وفصل الآيات بما هو المقتضى لذلك التبيين وهو قوله
تعالى والله عليم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله
تعالى من الاوامر والنواهي قوله ووصف الامر بالجميع للمبالغة في كونه سببا لاجتماع القوم فان
الامر لكونه مهما عظيم الشان صار كانه قد جمع الناس لاجله من قبيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ
امر جميع بمعنى جامع او مجموع له قيل نزلت الآية في حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات فيه حتى دخلت في حد القضاء وكان
قوم يتسللون منهم بغير اذن فكان المخلصون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم
الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف
به الاستيذان فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ليشير بليل قوله ولذلك اي ولكون
الاستيذان معتبرا لكمال الايمان حيث جعل بعد الايمانين شرطا ثانيا له اعادة مؤكدا على
اسلوب بليغ فان جعل المستأذنين هم المؤمنون على الاسلوب الاول وفيه تاكيد للاول لان الاول
يفيد ان الايمان يعتبر فيه بعد الايمانين الاستيذان وهذا يفيد ان الاستيذان كاف فيه فيؤكد اعتباره
فيه ويقويه وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين فان المستأذنين

صلوات ٥

التسلل الخروج في خفية

للاول ٥

اذ كانوا هم الذين يؤمنون بالله ورسوله يعلم منه لان الاستيذان في الايمان بالله ورسوله فيكون
تصداقا ودليلا على صحة الايمانين وصدقهما قيل المراد بقوله لان الذين يستأذنونك عمر بن
الخطاب وذلك انه استأذن في غزوة تبوك في الرجوع اي اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت
بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام قوله وفيه اي في قوله بعض شأنهم مبالغة في الاهتمام
بشان الاستيذان كما عادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق الاذن ولم يقل لشؤونهم بل قيد
بالبعض تغليظا عليهم امر الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العذر المبسوط ومسائل الحاجة
اليه وتعليق الاذن بالمشية مع ذلك العذر وقران ذكر الاستغفار للمستأذنين بالاذن دليل على ان
الاحسن والافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب لا يستأذنوا فيه حيث احتاجوا في خروجهم عن الحاجة
اي ان يستغفر لهم الرسول ولئن كان ذلك الخروج بمشية عليه السلام قوله ومن منع ذلك اي من منع بعضهم
بعض الاحكام اي رأيه واجتهاده وقال عليه السلام يتبع الوحي في جميع احكامه قيد المشية بان تكون
تابعة لعلمه بصدق المستأذن في ان له عذرا شرعيا مرخصا لذي استأذن فيه فحينئذ تكون المشية مستندة
اي الشرع الثابت بالوحي فلا تكون مشيته واذنه في ذلك بمجرد رأيه قال المصنف في اصوله يجوز له عليه السلام
ان يجتهد للعموم فاعتبروا وجوب العمل بالراجح ولانه اشق واذل على النفس فلا يتركه ومنع ابو علي والنبه
لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى قوله لا تقيسوا دعاءه اياكم اي شيء من الامور
فيكون المصدر مضافا اي فاعله كما في الوجه الثالث والرابع فان الدعاء في الجميع هو الرسول صلى الله عليه
وسلم بخلاف الوجه الثاني فان المصدر فيه مضاف اي المفعول والمعنى لا تقولوا عند دعائكم اياه يا محمد او
يا ابن عبد الله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرفوه في ندائه والمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا
امره اياكم ودعاءه لكم اي شيء كما يكون من بعضكم لبعض فان امر كان فرضا لازما ومثله قوله
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم قوله ينسلون اي يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اي انسرق
من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذلك وذاك بهذا ويستتر بعضهم
ببعض وهو حال من ضمير يتسللون ويقال تدرج اذا استعلى درجة درجة وتدحل اذا دخل قليلا قليلا
فان تفعل قد يكون للعمل المتكرر في مهلة قوله وقرئ بالفتح اي بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثي
مثل طاف طوفا ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ لانه فتحت الفا لاتباع الفتحة العين قيل كان المنافقون

يثقل

جامعة الملك سعود

يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبي صلى الله عليه وسلم وخطبته فيلوذون ببعض اصحابه عليه السلام حتى
يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيره من غير استيذان وقيل كانوا يتسللون من صف القتال
وقيل كان هذا في حفر الخندق قوله يخالفون امره لا يريد ان كلمة عن صلة والا لكان هذا وحيا
مستقلا يتم من غير ان ينضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى الاعراض بل المقصود منه مجرد بيان ان
يخالفون يتعدى بنفسه حيث يقال يخالفون امره واما جيء بكلمة عن لتضمينه معنى القصور والاعراض
وقيل عن ههنا بمعنى بعد كما في قولك اطعمتهم عن جوع اي بعد جوع قوله وحذف المفعول والاصل
يخالفون المؤمنين عن امر الله او عن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادين عن امرهم فيكون عن امره
حالا من فاعل يخالفون كانه في حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه صادا اي معرضا عن الامر فيكون عن
امره حالا من فاعل خالف والمحصول كونه مخالفا له صادا عن الامر دونه وكذا اذا قلت خالفه الى الامر اذا
ذهب اليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه ذاهبا اي الامر فيكون الى الامر حالا من فاعل خالف ايضا
ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم اي ما انهاكم عنه قوله فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر يعني ان
مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه
ورعايته ولما امر الله تعالى من خالف الامر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر
عنه ولا يحسن الحذر عن العذاب الا بعد قيام المقتضي لنزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر مقتض لنزول
العذاب فلولا ان المأمور به واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم ان الله تعالى لما هدد من خالف امره بامر
العذاب بين اوردف عقيبه بما هو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال الا ان لله ما في السموات والارض الآية
وجعله دربعة اي تحقيق عليه باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص واكد
علمه بما هم عليه بان ادخل كلمة قد على يعلم وذلك ان قد في المضارع تفيد التقليل كربما اذا دخلت
عليه فكما ان ربما يستعار للتكثير كما في قول الشاعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود
كذلك كلمة قد تستعار له فتفيد التحقيق والتاكيد وحملت كلمة قد في الآية على هذا المعنى لاقتضاء
الوعيد اياه وفي البيت لاقتضاء مقام المدح اياه قوله ويوم يرجعون منصوب على انه مفعول به
لا ظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اي يعلم الذي انتم عليه ويعلم يوم يرجعون اليه كقوله ان الله عنده علم
الساعة وقرأ العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو في آخرين مبنيا للفاعل وعلى كلتا القراءتين

ض

لان الغرض ذكر المخالف وهو المنافق والمخالف عنه وهو امر الله او امر رسوله والمخالف لانه من خالف فاستغنى عن ذكره منه

اذ لا منع للحذر عما لا يقع ولا مقتضى لوقوعه منه

اي كونه كلمة منبئة للتقليل منه

يجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون
والثاني ان يكون قوله ما انتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون التضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا
التفات ح والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله ويوم يرجع المنافقون
اليه والاول بقوله ويجوز الخ انتهى ما يتعلق بسورة النور وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة
الفرقان وهي مكية غير آية نزلت بالطايف وهي قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تكاثر خيره قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تحصوا اجناسها فضلا
عن افرادها فعلى هذا المعنى لابد من تقدير المضاف اي تبارك خير الذي ولا حاجة اليه على المعنى الثاني
قوله او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله قال تعالى ليس كمثله شيء فالعبد وان له حظ
من صفاته تعالى وافعاله الا ان ما لهم من الصفات والافعال لا يبالي شيئا مما له تعالى وذلك معلوم بديهة
العقول قوله وترتيبه على انزال الفرقان اى تعليله به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر
بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله ما فيه من كثرة الخير مبني على تغيير تبارك بقوله تكاثر
خيره وقوله او لدلالته على تعاليه مبني على تفسيره بقوله او تزايد على كل شيء قوله وقيل قدم عطف
على قوله تكاثر يعني قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على الثبات والدوام
والمعنى انه تعالى باق في ذاته أزلا وابدا ممتنع التغير وباق في صفاته ممتنع التبدل ولم يرض به لان

ترتيبه على انزال الفرقان لا يلايم هذا المعنى فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم
على ما يعتقد انه الخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم ما كانوا
يعرفون انه تعالى هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذي اجيب بانه لما ثبت كونه معجزا
الله تعالى بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزل الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء
على قوة دليله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ قوله للجن والانس ان
جميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك
بين اجناس ما يعلم به الخالق تعالى سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدد
الاجناس والاستغراق لافراد كل واحد منها اذ لو افرد منكرا للفهم واحد من تلك الاجناس ولعم افراد معرفا
لتوهم ان المقصد الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التي هي القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع

باقٍ

منكرا

منكرا لم يكن نصا في الاستغراق للاختلاف في استغراق الجمع المنكر وجمع بالواو والنون لان المقصود استغراق
افراد العقلاء من جنسي الجن والانس فان جنس الملائكة وان كان من جملة اجناس العالم الا انه النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن آية آلا الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس فهو عليه السلام رسول
اليهما جميعا فالآية حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله ليس للجن ثواب اذا اطاعوا سوى النجاة من العقاب
ولهم عقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله
تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم
نجاتهم من العذاب الأليم على تقدير العصيان ولم يذكر ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان
قوله منذرا او انذار الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثاني على ان الضمير للفرقان
اي لتنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكانه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان
نفسه لا يكون انذار قوله بدل من الاول فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل وبين المبدل منه
بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشيء اجنبي عن الكلام لان المبدل منه صلته
نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به قوله احدا ان مراعي فيه التقدير
يعني ان الخلق هو الاحداث المتقرع على التقدير والتسوية في علم الصانع فان الصانع اذا
لم يقدر مصنوعه في علمه قبل الايجاد لم يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله او
بالنقصان عن حد فيه تمام ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدر تكرار بناء على ان
الخلق فيه معنى التقدير فكانه قيل وقدر كل شيء فقدره اشار الى دفعه اولا بقوله فقدره
وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتقرع عليه بالفاء
فان الاول عبارة عن تسوية المحدث في علم الازلي لما اوجبته الحكمة بتعيين مادته وصورته و
ما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوي الصانع صوف المصنوع قبل ان يباشر
صنعه والتقدير المتقرع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المترتبة على وجوده
فلا تكرار فكانه قيل اوجد كل شيء على تقدير اوجبته الحكمة وقدر له ما يصلحه ويقيمه وما يراد هو منه
من الخصايص والافعال وثانيا بقوله او قدره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا
متقرع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشيء

يكون بعد احداثه كائنة قبل احدثه فجعل بوجوده غاية لمحدوده وثانيا بقصه وقد يطلق الخلق لمجرد
الايجاد فلا يكون قصه فقدره مكررا ويكون القاء فيه للترتيب في الاخبار فكانه قيل اوجد كل شيء
فقدر في ايجاده لم يوجد بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذي اقتضته الحكمة
قصه لان عبدتهم بنحتونهم اشارة الى انهم فاعل اتخذوا اعبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم
لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولان السور المكية نزلت ردا على المشركين فما ذهبوا اليه ويجوز ان
يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قصه واتخذوا صيغة جمع وقصه
آلهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا
من دخولهم في فاعل اتخذوا ثم انه تعالى رد على المخالفين في التوحيد شرع في الرد على المخالفين في النبوة
بقصه وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اي ما هذا القرآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند
نفسه واعانه عليه اى على افترائه قوم آخرون اي اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن الحضرمي
وعداس وقيل عايش مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا
يقرؤن التوراة ويحدثون احاديث منها فلما اسلموا وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندهم يتعهدهم فقال
النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية واجاب عن شبهتهم بقصه فقد جاؤا اي فقد اتوا ظلما وفعلوا
حيث وضعوا صفة الافك في غير موضعه فان الكلام الذي بلغ النهاية في الفصاحة وانتهى الى حد
الاعجاز كيف يختلقه البشر من عند نفسه ولو امكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين تحداهم به لانهم مثله على
السلام في معرفة اللغة وفي التمكن من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبته
ما هو بريء منه اليه وقالوا في حق القرآن ايضا اساطير الاولين كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار
جمع سطر او جمع اسطورة كاحدوثة واحاديث واساطير خبر مبتدأ محذوف اي هذا اساطير وقصه
اكتتبها خبر ثان لهذا او حال من اساطير والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة كقصه تع وهذا بعلى شيخا قصه
كتبها لنفسه باعتبار كونه سببا آيلا بكتابتها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه
قصه او لاستكتابها على ان اكتتب بمعنى امر ان يكتب له كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك وقصه فهي تملى عليه
متفرع على قصه اكتتبها على كل واخذ من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتبه
فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فلا مرظاهر لان املاءها اي القاءها على من يكتبها له عدم جعل املاء عليه

بناء

بناء على ان كتابة غيره بامره جعل بمنزلة كتابته عليه السلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء
عليه ويحتمل ان يكون التقدير فهي تملى على من يكتبها له وهذا على تقدير ان يجعل الاملاء على حقيقته ويجوز ان
يكون تمثيلا لاستعارة تبعية بان شبه القاء الكلام على الامي ليحفظه بالقائه الى الكاتب ليكتبه فيكون
صورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ فاشتق منه تملى وكذا في فسر اكتتبها
بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاستناد المجازي وروي الامام عن الحسن البصري انه قال قصه فهي تملى عليه
كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكانه تعالى قال لنبيه هذه الآيات تملى عليه بالوحي حالا بعد حال فكيف
يقال في حقها انها اساطير الاولين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم
واراد وا به ان اهل الكتاب املوا عليه في هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول
اقرب الى الآية تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقصه قل انزله الذي يعلم السر الآية ووجه كونه جوابا ان
القرآن لكونه معجزا من حيث كونه في اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبات
مستقبلة وكاشياء مكنونة لا يعلمها الا علام الغيوب استحيل ان يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء
نفسه ولو اخذ من اليهود كما زاد على في كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى وانه بمعزل
عن كونه اساطير الاولين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مال هذا الرسول يأكل
الآية ذكروا له عليه السلام خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره
تكون بامور جسمانية وهو غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بوصف الاول
قصه انظر كيف ضربوا لك الامثال اى بينوا لك الاشباه حين زعموا انك مسحور ومحتاج مترو ك وناقص
عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرة انه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك للاقوال
الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي وهي الاختصاص بالكمالات
النفسانية والفضايل الروحانية واياه التميز بينه وبين المتنبي فان التميز بينهما انما يكون باظهار
المعجزة وما ذكروه من الشبه لا يقدح شيء منها في اظهارها فلا يكون شيء منها قادحا في النبوة كانه تعالى انظر
كيف استغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فايدة فيها فاياهم بصدده من القدح في نبوته واثبات كونه
متنبئا والوجه الثاني من وجوه الجواب عن شبه المنكرين ما ذكره بقصه تبارك الذي ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك اي من الذي ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقصه جنات تا ونبته

على الحافظ
كصوت الالقاء
صح

فان جاء كما بعده
بالتاء يتعدى بنفسه
ايضا فانتصب
ظلما على انه مفعول
به وقيل انه منصوب
بنزع الخافض
منه

كاذبا
واضيف
الى الذي
لنفسه
جعله
جائزة
لنفسه
منه

فهم وفيه اي وفي
التعبير عنه بهم
بلفظ هؤلاء اشعار
وتحقير لهم وفي
تسميتهم اياه
رسولا مع انهم
يصدد انكار رسالته
تهكم به عليه السلام
صح

بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه السلام ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير منه بكثير
وكذلك تعالى يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشية ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله
فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا وفي حق الآخر بالعكس من ذلك
عن الضحاك قال لما عيّر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه السلام لذلك فنزل جبريل
عليه السلام معزيا له وقال ان الله يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق الخ فبينا جبرئيل والنبي عليهما الصلوة والسلام يتحدثان اذ فتح باب
من ابواب السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبرئيل عم اشرا يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد اتاك
بالرضى من ربك فسلم عليه وقال لك ربك تخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا
عبدا ومعه سفط من نور مملوأ ثم قال هل مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله تعالى
شيئا مما ادخر لك في الآخرة جناح بعوضة فنظر النبي الى جبرئيل عليهما الصلوة والسلام كالمستشير
فاومى بيده ان تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نبيا عبدا قال فكان عليه السلام لا يأكل
متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وقرئ بالنصب على
انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جني هو كقولك ان تأتني اتاك
واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور في كتب النحو
وانما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي وغيرهما وقرأ
باقي القراء بجزم يجعل وادغام لام في لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط بقال مالك جزم
اذا كان لا يعطى منه شيء والقصور جماعة القصر وهو المكن الرفيع والوجه الثالث هو الوجه الجواب
قوله بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان
اكرامه اياهم بالمال فيكون كلمة بل لترك الاول والاخذ فيما هو اهم وكونه اهم بالنسبة الى الجواب
الاولين انها انما يفيدان ان ما ذكروه في القدح لنبوته لا يصلح قادحا لها وهذا الجواب يبتني العلة
الداعية لهم الى انكار النبوة فان من كذب بالساعة لا يرجو ثوابا ولا عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر
في الدلايل الدالة على ما هو الحق والباعث الى الاعتقاد والعمل فلذلك لا ينتفعون ما يورد عليهم من الدلايل
فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذي والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقدرت

انظارهم

انظارهم الى الحطام الدنيوية والحطام هو التبات اليابس المتكسر لصغير الاسباب الدنيوية
لسرعة زوالها وقلة جدواها قوله او فلذلك كذبوك لانها مجلوبة من المطاعن فيكون معطوفا على قوله
وقالوا مال هذا الرسول الآية قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب هو قوله تعالى تبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستيناف بوعد ما يكون له في الآخرة فيكون
معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال الاول انه على الاول اخراب عنه الى جواب آخر لهم من
الاول وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لا يلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة
قوله افلا يتجب الخ فيكون معطوفا على جملة ما حكي عنهم مما يدل على تكذيبه عليه السلام والقدح في نبوته
فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم
اياه عليه السلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه السلام
قوله فيكون صرفه باعتبار المكان يعني اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلمية والتانيث الا
انه صرف نظرا وبلا لجهنم بالمكان وقوله اذا رايتهم جملة شرطية في موضع النصب على انه صفة لقوله سعيرا
وكذا قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا الخ قوله اذا كانت بمرأى منهم يعني ان التسعير سوار كانت
بمعنى الناار المتلهبة او جهنم ليست لها عين ورؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا
عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشيء بمقابلة الناظر ومرآة لازم للرؤية اذ لا يمكن الرؤية
بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من اللزوم
الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه السلام المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما اي لا تتقابل ولا تكون
احديهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهي عن تقاربهما ويقال دور فلان متناظرة اي متقابلة وهذا
التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا في الحيوة عندهم على ما هو عليه يجوز ان يخلق
الله تعالى فيها الحيوة والعقل والتركيبة والنطق ويؤيد ما روي عنه عليه السلام انه قال من كذب علي
متعمدا فليتبوأ بين عينيه جهنم مقعدا قالوا هل لها من عينين قال نعم الم تسمع قوله الله تعالى اذا
رأتهم من مكان بعيد قيل اي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا
البنية في الحيوة فلا يجوز كون السعير رآئية عندهم قوله في صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا يمكن اجراؤه على بل يجوز ذلك عندنا اذ لا امتناع في ان يكون النار حية

كانه قيل بل ما ذكروه من المطاعن يتفكهون بمحض ليس شيء منها مبنيا على كذبهم اياك وبمبنى تكذيبهم ليس لا كذبهم بالساعة

كانه قيل هذا الذي اجتنابه عن شتمهم واعلم انهم اما كذبوك بل

جامعة الملك سعود

مغتاظة على الكفار ولما المعتزلة فقد احتاجوا الى التاويل قال الجبائي لان الله تعالى ذكر النار وارادة الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان التذكية تصح منهم ولا تصح من النار فلو كقوله تعالى واسئل القرية اي اهلها قوله صوت تغيظ لما كان التغيظ عبارة عن شدة وذلك لا يكون مسموعا ذكر في توجيه الكلام لان نفس التغيظ ولم لم يسمع الا انه يسمع ما يدل عليه من الصوت وهو كما يقال اذا رأيت غضب الملك على فلان اذا رأى ما يدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قوله في مكان يعني لان مكانا منصوب على الظرفية ومنافي محل النصب على الحال من مكانا لانه في الاصل صفة له و مقرونين حال من مفعول القوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا روي عن ابن عباس انه قال لتضيق جهنم تضييق الكافر كما يضايق الزج على الرمح والزج الحديدة التي في راس الرمح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط ولقد جمع الله تعالى على اهل النار انواع البلاء ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق العذاب قوله والاستفهام للجواب عما يقال كيف يتصور التشكي في ان احدهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز للعاقل ان يقول التسكر احلى ام الصبر واجاب ان ذلك يحسن في معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعد لمن كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته ويدامنه تقريعا له وتهكما به وجنة الخلد هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينتقل عنها اهلها ولما ورد لفظ الجنة اسما للدار المخلدة فاتى فايدة في اضافتها اي الخلد اشارة اي جوابه بقوله واضافتها للمدح كما في اضافة التصفة للمدح فكذا الاضافة او لان اسم الجنة لا يدل الا على البستان المجمع لوجوه البهجة ولا دخل للخلود في مفهومها فاضيفت اليها للدلالة على خلودها قوله بالوعد اي لا بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لا يجب على الله تعالى عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لا يكون واجبا على من وعده قبل الوعد وانما وجب عليه انجاز المتقين اكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزاء بالاستحقاق بوجهين الاول لان لفظ الجزاء لا يتناول الا المستحق والثاني الموعود بمحض التفضل فانه لا يسمى جزاء والجواب انه لو كان المراد من الجزاء الامر الذي يصير اليه بمجرد الوعد لما بقي فرق بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فايدة وقال اصحابنا لا نزاع لنا في كونه جزاء انما النزاع في انه كونه جزاء ثبت بالوعد او

بالاستحقاق

في ايدخلون فيها افلما دكى لتضيق المكان

فصه

كانت بلفظ الماضي مع انها في الجنة سيصير لهم جزاء ومصيرا في المستقبل مبني على انه تعالى كتب في اللوح قبل ان خلقهم انها في الجنة جزاؤهم ومصيرهم او كان ذلك في علمه الازلي قوله ولا يمنع كونها جزاء لهم انها تتفضل بها على غيرهم برضاهم جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزاء على اعمالهم تفضل كانت لهم جزاء واهل الكبائر ولم كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفا الله تعالى عنهم وادخلهم الجنة اختصت بالمتقين وقد كانت حقا لهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لا يجوز وتوجيه الجواب بين ظاهر قوله ولعله يغفر لهم كل طائفة جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد ان يريدوها ويسالوها فاذا سالوها فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة ولم لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون وفي قوله وفيها ما تشتهيه الانفس وايضا فاذا كان ولد في درجات النيران واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل الله تعالى ذلك قدح في ان عذاب الكافر مخلد ولم لم يفعل قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون مما يليق برتبتهم والله تعالى لا يليق باحد منهم لم يناله رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل احد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت الى حال غيره قول حال من احد ضمايرهم والمعنى الذي يشاؤنه حال كونهم خالدين حاصل لهم او الذي يشاؤنه حاصل لهم حال كونهم خالدين فاصل لهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعد والمعنى كان ذلك الذي يشاؤنه موعودا واجبا على ربك انجازه كقوله وعد الكريم الذي يمتنع الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب كيف وانه تعالى لا يجب عليه شيء البتة بل كل ما يصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد لفظ يقال لما وجب عليه تعالى انجاز الموعود ولم كان ذلك بناء على كراهته وامتناع الخلف في وعده لزم منه كونه محتاجا الى الانجاز غير قادر على تركه ومن كان محتاجا الى الفعل غير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء بذلك والله هو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الاحتياج لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي

ايا الانجاز ج

٢ وفي قوله وفيها ما تشتهي الانفس وتوجيه الجواب ان المراد لهم فيها ما يشاؤن هو ج

الاشارة والغاية ج

هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل
لانه لو لم يفعله لانقلب خبره الصادق كاذبا وعلمه جهلا والوجوب بالاخر من الاخبار والعلم كونه تعالى لا يستلزم
ملجأ اياه الفعل وغيره قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به
والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون صادرا على سبيل الالجاء ويكون تركه مقدورا
ويستحق فاعله المدح والثناء فقصه تعالى ويوم يحشرهم اي يوم يحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة
قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء مع تحت فيهما والباقون بالنون في الاول
وبالياء في الثاني واختار المصرحون القراءة فقصه وهو على تلوين الخطاب اي على الالتفات من التكلم اي
الغيبة فقصه يعم كل معبود سواه من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قصه مردون
الله الاتي جواب المعبودين بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يابى دخول
الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلايم الانبياء والملائكة المعصومين لزوجه المصرح به جوابا
للاصنام ايضا بقصه لعدم القدرة وياورد لم يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل في العقلاء
وفيه بالمحصول انا لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل الا فيما لا يعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل
تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت في الذوات التي يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر
عن كونها عقلاء او غير عقلاء كما فيما نحن فيه نعم انها لا تستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه
كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انه انسان قلت ح من هو
وفيه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قصه نع للسماء
وما بناها اي وبانيها وقصه ولا انتم عابدون ما اعبد اي معبودي وقصه فرعون وما رب العالمين
اي مربيهم وفولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا ما زيد تريد اطويل هو ام قصير افقيه
ام طبيب وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبود بكلمة ما تغليبا للاصنام على عقلاء المعبودين تحقيرا
لشانهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية قصه او اعتبارا لغلبة عبادها عطف على
تحقيرا قصه او تخصيص الملائكة وعزيرا والمسيح عطف على قصه يعم على كل معبود وقصه او الاصنام
عطف على الملائكة وما ورد لم يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه الله تعالى ويقدر على الجواب اجاب اولا
بانه تعالى يخلق فيه الحيوة ويجعله صالحا لان يسال ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام يسيل لسان المقال بل

الشيخ سعد الدين وغيره

هو بلسان

هو بلسان الحال كما قيل في تسبيح الموات وكلام الايدي والارجل قصه وهو استفهام تقريع جواب
عما يقال انه تعالى كان عالما في الازل بحال المسؤل عنه فما فايدة هذا السؤال وتقرير الجواب لتزايد
تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع يزداد حسرة العبدة وضرتهم ويتكثف
بتكذيب المعبودين اياهم وتبريهم منهم ومن امرهم بالشرك وعبادة غير الله تعالى فلذلك سألهم بذلك والا
فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال قصه واصله اظللتم ام ضللتم الا ان المعنى لتزيد ضلالهم
عن التقاط السوي معلوم الا تقي ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم
وهذا يحصل بان يقال اضللتم عبادي ام ضلوا بانفسهم من غير ان يزداد انتم وهم الا انه عبر
النظم بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة وبزيادة هم بين فعل الضلال وام ليلي حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعيين من تولى الفعل وباشره لا اصل الضلال اذ لا شبهة
في تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العقاب وهو اظهار
الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل بهذا الاسلوب الضالين لا بد لهم
من مضل وفي ذلك المضل هل هو انتم ام هم ضلوا بانفسهم اي اضلوا انفسهم فان الضال من غير
ان يقاد المضل الخارج هو الذي يضل نفسه لا محالة وزيد لفظ انتم وهم ليلي حرف الاستفهام
المقصود بالسؤال ثم انه ذكر في قصه سبحانك ثلثة معان الاول انه تعجب مما قيل لهم والسند
اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل في التعجب
والثاني ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم منزهين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا
عباده والثالث انه مستعمل في التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيه تعالى عن الانداد قصه فكيف
يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك جعل قولهم ما كان ينبغي لنا الخ كناية عن البعد عن
ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولي دونه تعالى لان نفس قولهم بجرده لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب اليهم من
اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله تعالى قصه من اتخذ الذي له مفعولان اولهما
ضمير المتكلمين وثانيهما قصه من اولياء ومن للتبعيض اي ما كان ينبغي لنا ان نتخذ بعض اولياء وقرأ العامة
نتخذ مبنيا للفاعل وهو من المتعدي الى مفعول واحد ومن اولياء مفعوله وزيدت فيه من

لتأكيد النفي فلا تتضمن حجة علينا للمعتزلة فانهم قائلون في هذه الآية كثيرًا بيّنًا يقول من
يقول ان الله يُضِلّ عباده في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا الله اضلنا
قسم ثالث غيرهما وهو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا ضلالهم الى انفسهم
علمنا ان الله تعالى لا يضل احدا من عباده فان قيل لانم ان المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل
ذكروه وقالوا ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وهذا تصريح بان ضلالهم انما حصل
لاجل ما فعل الله بهم وبآبائهم تعالى متعهم وآباءهم بنعيم الدنيا قلنا لو كان للامر كذلك لكان يلزم
ان يصير الله تعالى محجوجا في يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر
محجوجا ملوما بهذا تمام تقرير كلام المعتزلة في الآية وتقرير المص ظاهر في عدم انتهاض الآية
حجة للمعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انهم لم يضلوهم ولم يحملهم على الضلال حسن الاستدراك
بقولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فهو نسبة للضلال من حيث انه يكسبهم واستغراقهم في
الشهوات وسلسا له اي ما فعل الله بهم فكانه قيل لكن اضللتهم بان فعلت لهم ما يوثر ون الضلال
فخلقت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك ما انطبق الجواب لان السؤال انما هو عن اضلالهم قوله التفات
اي العبد بعني لم كلام الله تعالى خاطب المشركين بعد ما عبر عنهم بلفظ الغيبة في قوله ويوم يحشرهم
واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون في قولكم انهم آلهة او في قولكم هؤلاء اضلونا
على ان الباء بمعنى في ويحتمل ان يكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول في كذبوكم كانه قيل فقد كذبوكم
بما تقولون والباء صلة كذبوا كافي قولك كذب بالحق فان كذب انما يتعدى اي واحد تارة بنفسه
تارة بالباء وقد عدي ههنا اي كم فلا حرج هذا بدلا منه ولم قرئ بما يقولون بياء الغيبة يكون الباء
للآلة كما في قولك كتبت بالقلم اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا قوله والشرط ولم تم جواب
عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكباير بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم
يعم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الآية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب وتقرير الجواب ظاهر
والمراد بالاحباط بالنظر ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم وما كان اقتضاء
هذا الشرط للجزاء المذكور مقيدا بان لا يوجد ما يزيل ذلك الظلم فليعلم انه لم يوجد ما يزيله حتى قطعنا

بتعذيبه

اسند بتحمل ان يكون بمعنى
بعني الجوار والملك
كما نزور بمعنى الكذب

بتعذيبه قوله الا ارسلنا انهم بفتح كسرت همزة انهم لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف
محذوف واعلم ان في الآية حذفين والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا ارسلا
انهم ياكلون فحذف احدا واقيمت صفته وهي من المرسلين مقامه وجاز استثناء ارسلا من احدا
لانه في معنى الجمع كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ويجوز ان تكون الجملة انت بعد الا
حالا من اعم الاحوال والتقدير وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين في حال من الاحوال الا وهم
ياكلون الآية اكتفى فيها بالضمير عن الواو قوله وهو جواب بقولهم يعني انه احتجاج عليهم في قولهم
مال هذا الرسول ياكل الطعام ونقض له ببيان حال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة
الرسل المرسل اليه في الاحوال منافيا لرسالته لوجب ان لا يكون احد من الرسل قبلك رسولا وهو
هو باطل واذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون بدعا منهم و
قرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يمشون بضم الياء على بناء الفاعل للتكثير
المشي لكان له وجه لان القراءة بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب
مناصبة اي شاركته في المحاربة والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية لهم
على ما قالوه مال هذا الرسول ياكل الطعام الآية مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه قيل لانتا
بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشراف الناس باسلافهم وذوو الانساب
بموالهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس ورؤساء المشركين بفقراء الصحابة فانه اذا اراد
الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد سلم قبله انف ان يسلم وقال اسلم بعد فيكون له
على السابقة والفضل فيقيم على كفره فهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا
اليه فلا عجب ان يبتلي المرسلون بالمرسل اليهم بانواع اذاهم ولم يبتلي المرسل اليهم بالمرسلين جميعا
لهم وتاتيا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين قوله
وفيه دليل على القضاء اي في قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكاينات كلها واقعة بقضاء الله
تعالى وقدره فانه لا شك ان المراد منه وحكمنا في الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فانذا حكم الله
عليه بذلك وعلم ذلك منه واثبته في اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع في اوقات محدودة
على وفق ما تعلق به العلم الازلي والا لصار العلم جهلا وانقلبت الكتابة المثبتة في اللوح المحفوظ

جامعة

باطلة و نضار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت مسئلة القضاء
والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجود على نحو مخصوص
خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها قوله علة للجعل يعني ان الفتنة بمعنى الابتلاء
والامتحان والاختبار فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا للامتحان البعض الآخر فكان
تعلق أتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله اتكيم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم
فتنة لبعض لنعلم اتكيم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على اذى بعضكم
بعضا فصبروا فانزل الله تعالى فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا فقوله تعالى وكان ربك بصيرا اي عالما
بمن يصبر وبمن يجزع فهو تبشير و انذار للفريقين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلي به الخلق وغيره
فلا يضيقن صدرك يا محمد قوله ومنه الرؤية اي ومن وجوه الوصول الى الشئ وطرقه رؤ
فان مسمى اللقاء جنس تحته انواع احد انواعه الرؤية ونوعه الاخر الاتصال والمماسة
والتقاء بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول اي جزاءه او
رؤية دلالته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير وهذه الآية
اشارح اي شبهة رابعة لمنكري نبوته عليه السلام وهي قولهم لو كان نبيا لانزل الله تعالى
ملائكة يشهدون انه صادق في دعوى النبوة او ندري ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا
لان هذا الطريق لصن واقوى في الافضاء الى الايمان وتصديقه وما لم يفعل ذلك علمنا انه
تعالى ما اراد تصديقه قوله اتانا ينابها كليبا اي قتلنا بعقابه نابها كليبا وهو رئيس تغلب
بن وايل يقال اتاك فلانا بفلان اذا قتلته به وجعلته كفوا له والناب المسنة من النوق
وجساس رئيس بكر بن وايل وجارية امرأة اسمها بسوس يقال هي خالة جساس راعي كليب بن
وايل يوما ناقة تلك المرأة في حماه وقد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسهم
فقتلها فشكت بسوس الى جساس فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر
وتغلب ابني وايل اربعين سنة حتى ضرب المثل في الشوم وقيل اشأم من بسوس وسميت تلك الحرب
حرب البسوس وضرب المثل في عزة الشئ وقيل اعز من حمى كليب والبوآء الكفء والمتوئف
بقوله علمت ناب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما اعلى نابا بواؤها كليب وكذا معنى الآية

كُلَيب

بهام

ما اشد

ما أشد استكبارهم وما اكبر عتوهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله
يوم يرون الملائكة الآية فبين ان الذي طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهونه قوله
ويوم نصب باذكر فيكون لا بشرى وجملة القول حال من الملائكة قوله او بما دل عليه لا بشرى ولا يجوز
ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين الاول انها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني انها منفية بلا وما بعد
لا لا يعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اتى على انه تأكيد لفظي له او على انه بدل منه ويحتمل ان
يكون يومئذ خبرا لا بشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيانا لقوله لا بشرى كما في سقيا
ورعيا لزيد قوله او ظرف عطف على قوله تكريرا اي ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا معمولا لما يتعلق
اللام او لبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المبنية لا تعمل قوله وللمجرمين اتى عام يتناول حكم
حكم الذين لا يرجون لقاءنا طريق البرهان بان يقال ان الذين لا يرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون
لا بشرى لهم فالذين لا يرجون لقاءنا لا بشرى لهم قوله عطف على المدلول اي على الفعل
الذي يدل عليه لا بشرى وهو يمنعون البشرى بالجنة او بعدمونها وقولهم حجرا محجورا كلمة
يقال عند لقاء عدو او مجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر
التي التزم اضمار ناصبها ولا يتصرف فيه نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله اعوذ بالله
معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اي لجأت اليه وهو عياذي اي ملجأي وقعدك
الله اي اسأل الله تثبيتك وتقعيدك اي تمكينك وعمرك الله اي عمرك الله تعميرا وقعدك
الله اي قعدك الله تقعيدا حذف روائد المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول و
حجرا مصدر حجره اذا منعه يقوله المستعيذ لانه طالب من الله تعالى ان يمنع المكروه ولا يلحقه المعنى
اسأل الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء وقرئ بضمها وهو لغة فيه وحكى ابو البقاء
فيه لغة ثالثة وهي فتح الحاء قال وقد قرئ به قوله واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص
هو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضمر ممن فيه من الالتباس فغير وحجورا صفة مؤكدة
للمعنى كقولهم ليل لائل وموت مائت قوله ولا يلزم من نفي البشرى للعامة المجرمين اي حين يرون
الملائكة عند الموت او يوم القيمة نفي البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة
بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك لان قوله لا بشرى يومئذ

استيناف
او معمول لا تقول
مضمرا اي اذكر
يوم يرون الملائكة
يقولون لا بشرى
ح
والقصر انزل ة
يقولون فجعل انا يكون
للكفرة وللملائكة البشرى
اذا عاينوا الملائكة
حجرا محجورا وقالوا اتوقعون
في الدنيا نزول الملائكة
عليهم لتستغيثون ما
تعالج وتطلبون منه
ان يمنع لقاءهم او يقول
لهم الملائكة لهم حجرا
محجورا اي حراما محرما
عليكم الخير والرؤية
البشرى به دخول الجنة
ورؤية الحق تع
يبشر المؤمنون يومئذ
ح تتنزل الملائكة
عليهم الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون
ك

للجرمين نكرة في سياق النفي فيعم جميع انواع البشر في جميع الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم
البشر فوجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين قصه اي وعدنا اياي ما علموا العالم بجزاء المعاد
حقيقة القدوم اليه تعا لكون القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد متاع وذلك يكون بالحركة آية
هي من خواص الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل عليه السلام بأفول الكواكب
على حدوثها وقد ثبت انه تعا منزه عن الجسمية والحدوث فلذلك اوّل قصه تعا وقدمنا بقصه وعمدنا
فان القصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم السبب على المسبب ليكون مجازا في المفرد وليت شعري كيف
احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال
قوم وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الاصلية وانما التصرف في الملفق التركيبي والظاهر
انه ليس مراد المصنف بقصه اي وعدنا جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعتبر عن الهيئة المشبهة
الخ جعل نظم الآية مجازا عنها ثم ان تعا لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرع
وصف اهل الجنة تنبيها على ان الحظ كل الحظ في طاعة الله تعا فقال مستقر اهل الجنة خير من مستقر
اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم فان قيل كيف يكون اصحاب الجنة خير مستقرا من اهل النار ولا خير
في النار ولا يقال العسل احلى من الخل فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما في قصه اذلك خير ام جنة
الخلد وما دلت الآية على ان مستقر اهل الجنة غير مقيلهم فستر المستقر بالمكان الذي يستقر فيه اكثر
الاوقات والمقيل بالمكان الذي يؤوي اليه للتمتع بالانواح قصه اذ لا نوم في الجنة لان اهلها ابدا في
نعيم يعرفونه كما ان اهل النار في عذاب يعرفونه فلا نوم في واحد منهما قصه وفي لعين من اي ما يتزين
به مقيلهم من حسن الصور اي صوراز واجهم من الحور العين والغلمان جمع غلام مصدر حسن سمي به
ما يحسن به الشيء من الزخارف كالتصاريف والتضاعيف ثم سمي بهما صروف الزمان والشأن الشيء
قصه ويوم تشقق العامل في يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقصه تعا الملك يومئذ
الحق للرحمن تقديره ينفرد الله بالملك وقرأ الكوفيون وابو عمرو هنا وفي ق تشقق بتخفيف الشين و
الباقون بتشديدها واصل القراءتين تتشقق حذف الأولون احدى التائين للتخفيف والباقون
ادغموا تاء التفعل في الشين لما بينهما من المقاربة وفي الآية مرتبطة ايضا بما اقترحوه من انزال
الملائكة فبين الله تعا ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء تشقق في ذلك اليوم ومنها ما ذكره

بقصه

بقصه الملك يومئذ الحق للرحمن ومنها قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا ومنها قوله ويوم
يعض الظالم على يديه قصه بسبب طلوع الغمام منها يعني ان الباء في قصه بالغمام سببية فان طلوع
الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات لكون طلوع النبات منها سببا
لتشققها وليس طلوع الغمام وانشقاق الآية للانشقاق لان آية الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل
وليس الطلوع متقدما على الانشقاق في الوجود حتى يكون آية له الا انه شبه بالآية في كونه سببا
للفعل والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم السلام ينزلون في ايديهم صحايف
اعمال العباد وقيل الباء في فيه للحال اي ملتبسة بالغمام اوّ وعليها غمام كما يقال ركب الامير
بسلاحه وخرج بثيابه اي وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اي عن الغمام ومعنى انشقت
الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا في قصه تعا يوم تشقق الارض عنهم سراعا
الغمام لان تنزل السماء فتبقى الغمام فوق رؤس الخلايق بظلهم قال الامام الشقي الغمام فوق السموات
السبع وهو سحاب ابيض غلظ كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعا اليوم بقدرته وثقله الثقل من
ثقل السموات فاذا اراد الله تعا ان يشقق السموات التي ثقله عليها فانشقت فذلك قصه تعا تشقق
السماء بالغمام اي بثقل الغمام فيظهر الغمام اما هنا كلاما له فعلى هذا الجعل لم يكون قصه هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام والملائكة فان الباء و
في يتعاقبان كثيرا وروي في الخبر انه تشقق السماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي من في
الارض من الجن والانس فيقول لهم الخالق انكم ربنا يعنون هل جاء امر ربنا بالحساب فيقولون
لا وسوف يأتي ثم ينزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الارض من الملائكة والانس والجن
ثم ينزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى ينزل ملائكة سبع سموات فيظهر الغمام وهو
كالسحاب الابيض فوق سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب. فذلك قصه تعا ويوم تشقق السماء
بالغمام وتنزل الملائكة الا انه قد ثبت ان الارض هي التي تنشق اي سماء الدنيا كما خلقه في فلاة فكيف بالقياس
اي الكرسي والعرش فملائكة هذه المواضع باسرها كيف تسع الارض للكل هو الآء والعلم عند الله علام
الغيوب قصه وقرأ ابن كثير ونتزل الملائكة بنونين ثانيهما ساكنة من الانزال ونصب الملائكة على
انه مفعول به وكان من حق المصدر في هذه القراءة ان يجيء على انزالا الا انه لما كان انزل ونزل

معنى انشقت به انه حان شقها بطلوع فانشقت به كقولك
السماء عن

بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر ومثله قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى تبتلا وقرأ
الباقون من السبعة وتُنزّل بضم النون وكسر النآء المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول
فيرفع الملائكة لقيامهم مقام الفاعل وقُرِئَ نُزِّلَتْ بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وانْتَزَلَ و
نُزِّلَ كل واحد منهما على بناء الفاعل وهو الله تعالى فعدي النعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ
وانْزِلَ على بناء المفعول ايضا وقُرِئَ ونَزَلَ بالفتحات الثلث مخففا مبنيا للفاعل وهو الملائكة وقرئ
ونُزِّلَ الملائكة بضم النون وتشديد الزاي ونصب الملائكة والاصل وتتنزل بنونين حذفت احداهما
قوله فهو الخبر يعني ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره والرحمن متعلق بالحق او للعامل
الملك يوم تشقق السمآء هو الملك الثابت للرحمن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله
الحق قوله او صفته عطف على الخبر في قوله فهو الخبر اي ويحتمل ان يكون الحق صفة للمبتدأ والرحمن خبره
ويومئذ من صلة المبتدأ او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ما كان في حيز المصدر لا يتقدم
عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعت للملك والرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر قوله
وعض اليد كناية من الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض والاكل يعني قوله يعض الظالم انه يأكل يديه
اي المرفقين ثم تثنيتان فلا يزال هكذا كلما نبتت بداه اكلها ندامة على ما فعل قوله وتوم يعض
منصوب بالعطف على قوله يوم يرون كما ان قوله يوم تشقق منصوب ثم ان كان تعريف الظالم للعهد
كان المعهود عقبة بن ابي معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابي بن خلف وكان المعنى يتمنى
عقبة يوم القيمة ان لا يتخذ ابيا خليلا في الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس والاستغراق يكون كناية عن
كل من اطيع في معصية الله تعالى روي عن الضحاك انه قال لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيه حتى الموت قوله يا ليتني هذا بقوله يا ليتني هذا
الجملة حال من فاعل يعض قوله طريقا اي انجاة او طريقا واحدا يعني ان التنكير في قوله سبيلا لتأكيد الوحدة
او للافراد اشخصا وهو سبيل الحق قوله ولم يشعبك اي لم يفرقني يقال شعبت الشيء اذا فرقته
ويقال انام شعب بني فلان اذا اجتمعوا بعد التفرق والباء في قوله بي للتعدية ومعنى تفريق طرق
الضلال اياه انه لما كان نائيا في هذا الطريق من طرق الضلالة وتارة في تلك كان طرق الضلال كانها
فرقة قوله وقرئ بالياء على الاصل فان اصل هذه اللفظة كسر النآء اتى بعدها بالف صريحة فابدلت الكسرة

فتحة

فتح والباء الفارا عن اجتماع الكسرة مع الياء قوله كان فلانا هنا كناية عن الاجناس يعني انه كل واحد
من لفظي فلان وفلانة اسم موضوع لان يعبر به عن شخص ما لا انه لفظ فلان يكنى به عن الاسم بل يكنى به
عن المسمى الذي يستحسن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال كانت بينهم هنات وحز المعلوم انه ليس
المراد بالهنات الالفاظ وانما يعني بها اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ
الفرج قوله يعني الخليل المضل يعني انه خليله سمي شيطانا لانه يفعل فعل الشيطان وهو الاضلال
وكلام الظالم ثم عند قوله بعد اذ جاءني ثم قال الله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا حيث
يتبرأ في الآخرة عن نصرة من اضله في الدنيا ويجوز ان يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذي
قبله مقولا حين يخذله الشيطان او خليله ولم ينفعه في الآخر ثم اخبر الله تعالى عن شكوى رسوله قومه
اليه بقوله وقال الرسول يا رب الآية وهذه الشكوى وقع منه عليه السلام في الدنيا حين اكثروا
من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه السلام يقوله في الآخرة شهادة على
من كذبه وعصاه وليس للمقصود من حكاية هذا القول التخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم
الا اخبار والاعلام لان كل واحد من قائلي الخبر ولازمه معلوم له عليه السلام بل المقصود
منها تعظيم لشكايته وتخويف لقومه لان الانبياء عليهم السلام اذا التجأوا اليه تعالى وشكوا
قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا او مجورا فيه اي ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذي هو ضد
الوصل بل يكون من الهجر بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجرة هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه
يقال ايضا هجر المريض يهجر هجرا اذا هذى في منطقه ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى
يحتمل معنيين الاول انهم هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا بهجرهم به ليبقى غير مفهوم على
انه سامعين والثاني انهم زعموا انه هذيان واهجروا اساطير الاولين وهذا كما اذا نقل اليك
كلام منزل فقلت مهجور فيه اي هذي قائله في هذه المقالة وعلى كل واحد من المعنيين يكون اصل
مهجورا مهجورا فيه لان هجر بمعنى هذى لازم لا يجيء منه اسم المفعول ما لم يعد بحرف الجر لان الهجر في
معنى الاهجار وهو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه ولا معنى وظاهر انه لا يسند الى المفعول
ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون هو مصدرا بمعنى الهجر اطلق على القرآن على طريق التسمية
بالمصدر كالمجلود والمعقول والمرود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى على هذا جعلوا قراءة

وهذا توضيح لقوله المهجور وفيه تخويف لقومه منه

ولو كان كونه منه هو المتبادر من العبارة والموفق بالذكر من الرواية منه

القرآن والتكلم به تهجدا ثم انه عليه السلام لما شكى اليه تعالى قومه قال تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اي
وكما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا وهذا جريح في نفس تلك العداوة
كفر فثبت به انه تعالى خالق الخير والشر جميعا وليس للعبد حصة من الخلق اصلا ثم انه تعالى حكى
عن منكري النبوة شبهة أخرى وهي قولهم يا اهل مكة له عليه السلام تزعم انك رسول من عند الله تعالى
فهلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم السلام كتابه و
قصه جملة حال من القرآن اذ هي في معنى مجتمعا قصه اي كذلك انزلناه مفرقا يريد نزم الكاف
منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدر او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون
مرفوعة المحل على الابتداء اي الامر كذلك ويكون قصه لنثبت علة لمحذوف اي لنثبت فعلنا ذلك
وهو جواب عن شبههم قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم
بعض الآيات عن بعض في النزول لم يعلم ان آيتها ناسخة و آيتها منسوخة واذا نزلت منجمة
فمن يعلم لنبي ما تأخر نزوله ناسخ للمتقدم ولانه اذا نزل مفرقا بحسب اسباب لهم والوقايع الواقعة
لهم حصلت فوايد جليلة لا تحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة
لما حصل الا الدلالات اللفظية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما اذا نزل نجوما
فانه ينضم اليها القرائن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولا شك ان انضمامها اليها تغير
على البلاغة وبالجملة انزال القرآن منجما فضيلة خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر النبيين
فان المقصود من انزاله لم يتحقق قلبه المنير لخلق القرآن ويتقوى بنور ويتعدى بحقايقه وعلومه
وهذه الفوايد انما تحصل بانزاله مفرقا الا ترى ان الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت
تربية الزروع به مثلما اذا نزل مفرقا اي لم يستوى الزرع قصه وتحصل لم يكون من تمام كلام
الكفرة كانهم قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلثة فيكون حالا أخرى
فيكون قصه لنثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه مفرقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير لم يكون
من كلام الله تعالى وقصه ورتلناه معطوف على ذلك المحذوف الذي تعلقت اللام به والترتيل
التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس رتلناه ترتيلا
اي بينا ه بيانا وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابي ما اعلم الترتيل الا التحقيق

عطف على قصه
منها ما ذكر والسبب
وما ذكر سببها على
تكلف انزاله منجما
كما ثبت
سببا كثيرة
فوائده عليه السلام

والتبيين

والتبيين وقيل معناه امرنا بالترتيل في قرأته وذلك قصه ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه
بترتيل وتثبيت وقيل معنى الترتيل حفظ الوقوف واداء الحروف ومنه حديث عايشة
رضي الله عنها في صفة قرأة النبي صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حرفه
لعده ا وحصول ما ذكره المصنف انزلنا بعضه بعد بعضه على اثر بعض بزمان يسير بينهما ولم
ننزله مرة واحدة وهو معنى قصه ونزلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما افتتح هذه السورة الكريمة بما
يتضمن اثبات التوحيد والنبوة ثم اورد اباطيل الملحدين فيهما ورد هم في كل واحد
من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة ختم الكلام بقصه ولا يأتونك بمثل الآية اي
لا يأتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كانها مثل يمثل
بها كل باطل الا جئناك بالحق الذي يدفع ما جاؤا به من المثل ويبطله كقصه بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق يعني ما يوردونه من الشبه مثلا ما يدفع به الشبه حقا
وقصه الا جئناك بالحق استثناء مفرغ والجملة في محل النصب على الحال اي لا يأتونك في بمثل
في حال من الاحوال الا في حال اتيانا اياك بالحق وبما هو احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى
الحكمة قصه او معنى على ان يكون التفسير آتيا هو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس المعنى
المبين اطلق اسم التفسير والبيان على المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان لما بينهما من العلاقة
فان كل واحد من الشبهات التي اوردوها قدحا في نبوته عليه السلام لا معنى له ولا نفع فيما هم
بصدده وما جاء الله تعالى في دفعه وجوابه لحسن معنى واصلح جوابا وردا من سؤالهم الذي لا نفع
لهم فيه وحاصل المعنى على الوجه كلما سألوك بسؤال عجيب اجبناك عنه بجواب هو احسن معنى من سؤالهم
مثلا انهم سألوا عن انزاله جملة واحدة فلم يكن فاجاب بانا انزلناه متفرقا لنثبت به
فؤادك وهو احسن معنى ومؤدى لما فيه من البيان الحكمة ولا نفع لهم في سؤالهم اصلا والمعنى
على الوجه كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة مع انها هي المناسبة
للنبوة ودلالة على انك نبي جعلناك على صفة هي اشد مناسبة للنبوة ودلالة على انك نبي
حق فان قيل قد ذكر اولا ان السؤال مثل في البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن
منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما فالجواب من وجهين الاول انه لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل

ا ر على طريق
اطلاق اسم السبب
وارادة المسبب فان
التفسير والبيان مسبب
عن ظهور المعنى

لهم

الجواب لعسر من السؤال والكاف اسم مثل قولهم التصيف أحرّ من الشتا مع ان الحرارة ليست مشتركة بينهما يريدون به ان حرّ التصيف اشد من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب في باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم في باب القبح والبطلان قوله اي معذبين او مسحوبين ايما الفوق بين الوجهين ان معنى الآية على الاول ان الذين يمشون اي في جهنم حال كونهم مقلوبين وجوههم اي القفا وارجلهم اي فوق وقد روي ذلك عنه عليه السلام فانه قد ورد في الاخبار ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر يوم القيمة على وجهه قال ان الذي امشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه وعلى الثاني الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اي مجرورين على وجوههم وما ذكر من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر في اعراب الذين ثلثة اوجه ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعني ومرفوعا على الذم اي على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين وان يكون مبتدأ خبره اولئك شر مكانا اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي اخطأ دينا وطريقا قوله والمفضل عليه هو الرسول اشارة الى ان الآية متصلة بقصة ولايا تونك بمثل فان مقصودهم من اتيانهم هو كالمثل في البطلان تحقيرا لشأنه ومكانه قصة من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الآيتين واحد قصة وقيل انه متصل بقصة اصحاب الجنة يومئذ خير من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفة اهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لان قسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم ان الله تعالى لما ذكر قصة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه ما نزل بمكذبهم من امم رسلهم تسلية له عليه السلام وايعاد لقومه كانه قيل لست اول نبي كذب بل ارسلنا قبلك انبياء مؤيدين بالآيات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب الآية قال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برأيه ويتحصن به والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اي لا تحصن ولا ملجأ قيل ولذلك لا يوصف الله تعالى بان له وزيرا ولا بانه وزير لان الانتجاء اليه في الشاورة والرأي على هذا الحد لا يتصور ولما ورد لئن يقال كعن هرون وزيرا كما لمنافي لكونه شريكا له في النبوة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا اجاب عنه بقوله ولا ينافي ذلك مشاركته قصة والتعقيب جواب عما يقال الفاء في قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب دعاء موسى وهرون بل

بعد مدة مديدة والجواب ان فاء التعقيب مجعولة ههنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع قصة وقرئ فدمرنهم بنون الثقيلة قرئ فدمرناهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم معطوفا على محذوف اي فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا وقرأ علي رضي الله عنه فدمرا هم امرأ ملوسه وهرون عليهما السلام وعنه ايضا فدمرا انهم كذلك ايضا ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وعنه ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهي شبيه الفراء التي قبلها في الحظ قصة نوح يجوز ان يكون منصوبا عطف على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قصة اغرقناهم ويرجح هذا بتقدم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اي اذكر قوم نوح قصة ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بعد القدح في المعجزة وذلك يقتضي تكذيب الكل ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم في شيء من ذلك فقد كذب الكل فيه قصة كابراهيمة فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه براهام ينكرون كل الرسل ويعترفون بهم عطف على اغرقنا لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود اوّله بالحي دون القبيلة قصة مرّ واما ذكر المرور لانهم من مرّ الآية ولعله اخذ من قصة تعالى في سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وفسر الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعدية انوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدي بعلى لتضمنه معنى مرّوا وقصة مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اي امطار السوء ولان يكون نعت مصدر محذوف اي امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر اليه صفته لتدل على اختصاصها وليس له صفة غيرها قصة يعني سدوم على المشهور انه بالذال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل اراد بها عين البقرة وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله تعالى منها اربعا باهلها وغيب واحدة اهلك الله اهلها وهي سدوم قال تعالى في حقهم انا امطرنا مطر السوء قيل كان كل حجر منها قدر الانسان وقيل كان ذلك في ريح حاصب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيانهم بتكذيبهم لوطا وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار قريش ان يتعظوا بما رأوا مما حل بهؤلاء فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتزموا طاعته فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل عنه الى التوبيخ بوجه آخر وهو انهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة

بعد من

الموت وبما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصوله ما فيه مسرة وليس النشور خيرا موثوقا به
المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور اي الكافر حتى يصح ايقاعها وانتزاعها احتج
اي توجيه قصه تعالى لا يرجون نشورا فذكر فيه ثلثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع
يستعمل في الخير والشر جميعا فامكن ان يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فيحكم بوقوعها
بلا وقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفي عن الكافر لانه انما يتوقع الحيوة بعد الموت
من يؤمن بالله ورسوله فكانه قيل بل كانوا لا يتوقعون نشورا فلذلك لم يتعظوا بما نزل بهم وبما
بقربهم كما مرت ركابهم وجالهم والثاني ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشور
فيه خروج وسرور كنشور المسلمين فانه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور
نفيها فنفيت بان قيل انهم لا يأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا في الثواب
فان من لم يؤمن ولم يعمل مثل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف
على لغة تهامة ويتصور نسبته اي الكافر ونفيها قصه الا موضع هزء على ان يكون هزوا مصدرا
على تقدير المضاف وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوا به وكلمة ان في قصه ان يتخذونك
نافية وفي قصه ان يكاد ليضلنا مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزوا مفعول ثان
والجملة المنفية جواب الشرطية وقصه لهذا الذي في محل النصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اي
ما يتخذونك الا هزوا قائلين ذلك والمعنى انهم لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة
بل زادوا عليه الاستهزاء والاستخفاف افاركوا فان اشارتهم اليه عليه السلام بلفظ هذا للاستحقار
تنزيلا لرتبة مكانته عليه السلام بزعمهم ونزولا مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم وقد ورد ان يقال مضمون
الصلة في حقه لان يكون معلوم الانتساب اي ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث
الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثته عليه السلام اجابوا بانه مبني على التهكم والاستهزاء
وهو في مثله اي فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها تقييد الحكم المطلق
من حيث اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابه لفظا وان لم يذكر
لفظا لا تكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه ما تقدم حكم مطلق يدل على جوابه وهو قصه ان كان
ليضلنا كانت قد اله من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه فانه يقيد غنى ما يلزم ويكون

المعنى دون

لا نشور الكافر

الموجب بيان لكونه كالجواب بقولهم فان قولهم يستلزم ويقتضي كونه عدم ضلالا من حيث ان
احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه وقصه سيظهر لهم من الضال غاية الضلال يفيد
نفي ما هو لازم قولهم ونفي اللازم نفي للملزوم فيكون كالجواب بقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة
استفهامية معلقة ليعلمون في سادة مسد معموليه ان كان على بابه ولن كان بمعنى
يعرفون تكون سادة مسد مفعول واحد وفيه من حيث يدل على انه لا محيص لهم عن العذاب
ولن تأخر وقصه ودلالة اي عطف تفسير وكلمة ارأيت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال
وههنا استعملت للتعجيب من جعل من هذا وصفه ونعته وقصه آلهه هواه مفعولا الاتخاذ من غير
تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف فان معمولي اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ
آلهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم هو
المبتدأ والمؤخر خبره فيكون آلهه مفعولا اول وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا تنز المصر
قدس الله بلطفه سر العزيز جعل تقدير الكلام ارأيت من اتخذ هواه آلهه وقال انما قدم
المفعول الثاني للعناية كما تقدم علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا اي اصل المعنى
فانه لا ينكر ان المعرفتين اذا قدم فهو المبتدأ الا ان النظر اي جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود
يقتضي ان يكون آلهه خبرا في الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجيب من اتخاذ الهه آلها على التشبيه البليغ
كانه قيل الا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الآلهة في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه وللمعنى التشبيه
الآلهة بالهوى وبما كان المشبه به ههنا هو الآلهة والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به
ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قصه آلهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدم
عليه صار مزالا عن موضعه الاصلي غير قار فيه فلذا جعل مرتبا بتقديم المفعول الثاني على الاول
قصه والتاء للانكار اي لست موكلا على حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهواه من دون
الله ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ما تقوله سماع تدبر او يعقلون ما تورده من الحجج
والدلايل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما عجب من جهل من اطاع هواه وجعله بمنزلة الآلهة
ذكر انواعا من الدلايل الدالة على وجود الصانع الحكيم المتفرد بالالوهية فقال الاستدلال بحال
حال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قصه الم تر الى ربك كيف مد الظل كلمة الى

مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة بمد وهي متعلقة بفعله الم تر وهو لم كان
من رؤية العين يجب ان يكون المنظور اليه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل الكلام
الم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مد ربك وبسطه على وجه الارض كلما حين احدثها الا انه
عبر النظم الى ما عليه التنزيل للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى مادا للظل كالمشاهد
المرئي لوضوح برهانه الذي هو دلالة حدوث الظل وتغيره على الوجه النافع على كونه فعل الصانع
الحكيم ثم اشار الى احتمال ان يكون فحوى الم تر من رؤية القلب بمعنى الم تعلم الا انه عدي بالى لتضمنه
معنى الانتهاء فقال او الم ينته علمك الى فيكون الكلام على ظاهره لان الظل ولئن كان من المبصرات
الا ان تأثير قدرة الله تعالى في تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان
الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا
على وجه الارض فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيئا فشيئا الى الزوال
ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ في التزايد
الناسخ لضوء الشمس قيئا ووجه الاستدلال به على وجه الصانع جليّ حيث قدرته ما اشار اليه من ان
حدوثه بعد العدم وعدمه الوجود وتغير احواله بالزيادة والنقصان مع الانبساط والتقلص
على الوجه النافع لابد له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام
الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وما هو الا الله عز وجل قوله ثابتا بالمكنى
وهو الاستقرار والثبات في مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقر فيها فالمعنى ولو شاء لجعله
ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الارض بان لا تطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير كونه من السكون
الذي هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط بان يجعل
الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل الشيء لا يكون ظهوره للفعل سببا لظهور الشيء فيه فشبهت الشمس
بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل للحس
او من حيث كون حركتها سببا لحدوثه وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل للحس
لان الناظر الى الجسم الملقون حال قيام الظل عليه لا يظهر له شيء سوى الجسم ولونه ويقول الظل
ليس امرا ثالثا ولا نعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فعلمنا ان الشمس ووقوع

ضوءها

ان ضوء الخالص هو الكيفية الفايضة من الشمس والظلمة الخالصة هي عدم الضوء عما من شانه ان يضيء والظل ليس عدما محضا بل هو ضوء مخلوط بظلم ولا شك ان الظلمة سابقة على النور قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال بعدم ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة فالق عليهم من نوره

ضوءها على الجسم الاجرام لما عرف ان للظل وجودا وماهية لان الاشياء انما تعرف باضدادها فلولا
الشمس لما عرف الظل كما انه لولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقوع ضوءها
على الارض وزال الظل في ظن المعقول لانه الظل كيفية زايدة على الجسم والكون فلهذا قال
تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظل اولا بما فيه من المنافع والتذاذ ثم انا هديناه
العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من
الشيء والمراد به ههنا يبع جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل
لا دفعة بل جزءا فجزءا يسيرا يسيرا فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب
فلو قبضه الله تعالى دفعة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرا يبقى منافعها والمصالح
المتعلقة بها قوله وثم في الموضعين لتفاضل الامور يعني ثم للتراخي الزماني ولا يصح جعلها هي
في هذا المقام اذ ليس المعنى انه تعالى بعد ذلك البدء بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على
المجاز بان يجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان شبه تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني فاستعيرت
لجانب الشبه لفظة ثم الموضوعة للتراخي الزماني او بان شبه تفاضل مبادي اوقات ظهور تلك الامور
بالتباعد الزماني فان مبدأ وقت ظهور قبض الظل قبضا يسيرا وهو اول وقت الزوال افضل من مبدأ
نفس مد الارض وكذا مبدأ وقت ظهور قبض الظل قبضا يسيرا وهو اول وقت الزوال افضل من مبدأ
وقت ظهور جعل الشمس دليلا فكانت انفس الامور متفاضلة باعتبار تفاضل مبادي اوقات ظهورها
فادخلت كلمة ثم عليها ايذانا بذلك التفاضل ووجه كون الامور متباعدة في الرتبة والفضل ان
حدوث الظل ممدودا مبسوطا على وجه الارض ولو كان نعمة في نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا
ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على امر زايد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم
من الثاني لان الازالة مع التدرج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام يحصل بها المنافع المترتبة على
الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهي منفعة زايدة على نفس انبساط الظل وقيام دليل
وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التي يناط باكثر احكام الشرع ولان في التدرج حكمة ومصلحة
اخرى قوله وقيل مد الظل عطف على قوله لتفاضل الامور اي وقال بعضهم ثم في احد الموضعين
مستعملة في اصل معناها وهو التراخي الزماني فان خلق الشمس مستطا على الظل متراخ زمانا عن انبساط

قوله ادلا بعيد ولا تفاوت لان سبب حركة فلكها ذاتي وليل العالم او ليل الطريق من حيث هو سببا مستفادا بالوضع وتقابل وتفاوت احوال الشمس

النظل السمائى على الارض فثم فى قصه ثم جعلنا الشمس عليه للترائى الزمانى بخلاف فى قصه ثم قبضناه قوله
اليه الظل ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة اى بواراد بقاء الظل على حاله ممدودا على وجه الارض لما خلق الشمس
ليكون الظل باقيا على امتداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس فبسطها على الظل فالظل تابع للشمس كما يتبع
المدلول الدليل والمراد بكون الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى
هذا يكون قصه تع عليه مفعولا ثانيا لجعلنا وقصه دليلا حالا من الشمس او تكرير للمفعول الثانى كما مر فى
قصه فجعلناه هباءً منثورا وكون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها مستتبعة اياه كما يستتبع الدليل العلم
مدلوله او كما يستتبع دليل الطريق من يهديه فان الشمس باختلاف احوالها فى مسيرها يستلزم اختلاف
احوال الظل من كونه ثابتا فى مكانه وزائلا عنه ومنبسطا ومنقبضا فيصح ان يستدل بكل حال من احوالها
على كل حال من احوال الظل قوله او دليل الطريق عطف على دليلا على فاعل يستتبع وقصه من يهديه عطف على مفعوله
اى او كما يستتبع دليل الطريق من يهديه فالشمس على الاول بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثانى
بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من يهديه قوله يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها استيناف ببيان كون الشمس
مستتبعا عليه مستتبعا اياه والنوع الثانى من دلايل الوحدانية ما ذكره بقصه وهو الذى جعل لكم الليل لباسا و
النهار نشورا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرق فى وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحيوة
لانه لما كان فى النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرف والعمل كان فى اليقظة معنى الحياة ومن
فسر اللباس بالموت فسر النشور بالحياة رعاية للمقابلة ومن فسره بالراحة يفسر النشور بالانتشار وكل
واحد من النايم والميت ملبوس لانقطاع احدهما عن العمل والآخر عن الحياة وقد اطلق التوفى على النوم
فى قصه تع وهو الذى يتوفيكم بالليل وفى بعض الكتب ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع
الثالث منها ما ذكره بقصه وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين
جمع نشور كرسل ورسول والمعنى ارسلها ناشرات للسحاب فى الجو كما ينشر الثوب المطوى وقرأ ابن عامر
وابو عمرو فى رواية بضم النون وسكون الشين وهو فى المعنى كالاول وقرأ حمزة والكسائى بفتح النون وسكون
الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا فى الآية اسما لما يتطهر به
كالسحور والوقود استدلالا بقصه تع وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة
الظاهر لاستلزامه المخالفة للآية والحديث وخلوه عن بيان منفعته وهى كونه مطهرا للانسان عن الحدث

والنجاسة

والنجاسة قوله وللاسم كالذنوب وهو اسم لمعنى التصبب ويقال ايضا للدلو الملائى ماء ذنوب ولا يقال
لها وهى فارغة ذنوب فان قيل طهور مشتق من طهر يطهر وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره
قلنا انه ح لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة
فان قيل كيف يكون لفظ طهورا اسما لما يتطهر به وقد قال تع فى صفة شراب اهل الجنة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا وقال الشاعر عذاب الثنايا ريقهن طهور قلنا كونه اسما له لا ينافى استعماله فى مبالغة
طاهر قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة جواب عما يقال ما الفايدة فى توصيف الماء المنزل
لاحياء الارض وسقى الحيوان بقصه طهورا مع ان التوصيف فى مثله يوذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم
على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطانى الثياب الفاخرة لاتزين به ووصف الطهارة لا دخل
له فى ترتب الاحياء والسقى على انزال الماء وتترتب الجواب لان الاحياء والاسقاء المذكورين ولو امكنا
بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زايدة
على انزال ذات الماء وتميما للمنة المستفادة من قصه لنحيى به ونسقيه فان هذين الاحيائين انما يتمان
بذلك كما ذكر من ان الماء الطهور اهنأ وانفع وتنبيها على لزم بواطنهم اولا بالتطهير ووجه التنبيه انه تع
لما امتن عليها بان انزل ماءً يطهر ابداننا من الحدث والنجاسة وبتبع بذلك انه يطهر بواطننا مما ينبغى
ان يطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ عن التلوث فكان الامتنان بانزال ما يطهر
الظاهر تنبيها على لزم الباطن اولى به قوله ولانه غير جار على الفعل اى لم يقل بلدة ميتة لان الميت
ليس على وزن الفعل نحو فعيل بمعنى مفعول وفى مثله يجوز التذكير ولم يجر على المؤنث لانه لما لم يكن
على وزن الفعل لم يكن مثاله فجاز ان لا يطابق موصوفه فى التانيث فان الفعل يطابق فاعله
فى التذكير والتانيث هكذا يشابه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المشتقات فانه اجرى مجرى الجوامد
قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم فى رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى
يقال سقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال سقيته لشفته واسقيته ماشيته وارضه
والاسم السقى بالكسر وقصه تع مما خلقنا يجوز ان تتعلق بنقصه نسقيه اى نسقى ذلك الماء بعض خلقنا
من الانعام والاناسى وانتصابها على البدل من محل الجار والمجرور فى قصه مما خلقنا ويجوز ان يتعلق
بمحذوف على انه حال من انعاما ولعل قصه اهل البوادى اى مبنى على الاول فان حمل قصه مما خلقنا

٢ فعول ومفعال
ومفعيل وهم

على اهل البوادي وجعل تنكير الانعام والاناسي مبنيا عليه اتما بلا يم الاول **قوله** وتخصيص حرابها
يقال كيف خص اهل البوادي بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب **قوله** وسائر الحيوانات
اي ما عدا الانعام من الوحوش والطيور ولما كانت تتعيش بالماء لكنه سبحانه خصص الانعام بالذكر لان سائرها
لا يعوزها الشرب ولا تكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوزه الشيء اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه **قوله**
مع تشابه الآيات وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوائها لسائر الحيوانات في الاحتياج الى
الشرب وحاصله ليس المراد المقصود مجرد بيان الحكمة في انزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة في
حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام بالذكر لانها قنية الانسان اي يقتنيها ويتخذها للنفع للتجارة
الجوهري قنوت الغنم وغيرها قنوء وقنوق وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك للتجارة
وعلية جمع علي بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبي **قوله** ولذلك اي ولكون علية ما يعتيشون
هي الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحيوة الانعام
وتعيشها فانظر ايها الى كيف رتب ذكرها هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام
رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض
بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام **قوله** وانا سي بتخفيف الياء عطف على قوله ونسقيه اى لكما قرئ نسقيه بفتح النون
كذلك قرئ وانا سي بحذف ياء افاعيل ذهب سيبويه الى ان انا سي جمع انسان اصله اناسين كسرحان و
سراحين فابدلت النون ياء وادغم فيها الياء التي قبلها كما قيل في جمع ظربان ظرابي اصله ظرابين و
الظربان على وزن قطر نوع دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب انها تفسو في ثوب احدهم اذا صاده
فلا يذهب ريحه حتى يبلى الثوب وفي المثل فسا بيننا الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال المبرد والفراء
والزجاج ان انا سي جمع انسي وفيه نظر لان فعالي انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لانه دل على نسب نحو كرسي
جمع كرسي فلو اردت بكرسي النسبة الى الكرس وبعد لم يقال ان الياء في انسي ليست للنسب وكانه
حقه ان يجمع على اناسية نحو مهالبة جمع المهلبي وازارقة في الازرقي **قوله** صرفنا هذا القول يعني ضمير صرفنا
انما يرجع الى ما ذكر في بقوله هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا
كانه قيل ولقد صرفنا ذكر انشار السحاب وانزال القطر بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب ليتفكروا
ويعتبروا ويرجع الى ان الماء الطهور الذي هو المطر وصف تصريفه بين الناس لم ينزله على نسق واحد بل

ينزله

مكتبة جامعة الملك سعود

ينزله في مكان دون مكان وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون صفة فيقسمه بين العباد وعلى هذا الوجه
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرأ هذه
الآية وروي ابن مسعود عن النبي عليه السلام انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله
ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة والبلا
واخرى طلا ومرة دية مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والدية المطر الذي يدوم زمانا
او في الاحيان والمنابع عطف على قوله في البلدان المختلفة اي ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس
اجراؤه في الانهار والمنابع ليستقوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقي الزروع ونحوها **قوله** بخلاف غيري
انها اي من يريد ان الله تعالى هو الذي خلق الامطار وجعل الانواء والامارات عليها لا يكفر والحاصل
ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشانها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على
وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن اشتغل بها وقصر في شكر منعمها فقد
كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعمة اي الافلاك و
الكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فانه لا شك انه كافر بالله والانواء النجوم التي يسقط واحد منها
في جانب الغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق في ساعته والعرب كانت تضيف
الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين
دلائل وحدانيته وقدرته شرع في تعظيم رسول الله عم فقال ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
كانه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة اي كل العالمين بان بعثنا في كل قرية نذيرا
ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك لان مجاهدة الكفار بالحجج اشق من مجاهدة الجاهل المأمور بها
على المجاهد بالسيف لان الكفرة مكنية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان فما بين
اظهرهم خبر قصه ولان في مخالفتهم ولا شك ان في مخالفة عتاة الغالبين فيما بينهم اكبر المجاهدة
اولانه جاد مع كل الكفرة فيكون صبره في قصه وجاهدهم به راجعا اليها دل عليه قصه ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا كافة القرى فانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل
نذير مجاهدة قريته باقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل
ذلك فلذلك قال له جاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات

ثم ان الله انتقل الى النوع الآخر من دلايل التوحيد فقال وهو الذي مرج البحرين كان الله يتقوى به قلبه ﷺ على امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت الدابة اى ارسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات مفعول فعل مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت التاسل خبز تفله اى مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان تكون جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب كان قائلا قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات اذا كان في غاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو مليح وملح على وزن فعل وفعل وفرئ بهما وقلما يقال ماء ملح والاجاج الشديد الملوحة الذي يحرق الباطن بملوحته من اجت النار اجيجا اذا اشتد حرها

قوله وتنافرا بليغا لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قصة برزخا دالا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرما عليك ان تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي ومن المعلوم ان البحر ليس من شانه ان يتعوذ ويقول قيل حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بان يشبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوين يتقاربان في المعركة يريد كل واحد منهما ان يشق صاحبه ويتعوذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين لهذا الكلام قوله وقيل حدا محدودا اى وجعل بينهما حدا لا يتجاوز حكم كل واحد منهما من ذلك الحد وفي الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرته من حايط فهو حجر قوله وذلك كدجلة يعني ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجه للبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا ثم بين الله تعالى كيف خلا بين البحرين المتنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لا يتمازجان حتى يحصل موضع التعجب فقال كدجلة يدخل البحر ومن قال المراد بالبحر النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض يبين وجه الاستدلال على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض او الماء فلا بد من الاستواء لان لم تكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحايل على حسب مشيته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء الطبيعة كل عنصر

ان تعانقا

ان تضامت وتلاصقت قوله وتسلسل اى تليين وتنقاد ذكر في الماء الذي خلق منه البشر ثلث احتمالات الاول انه الماء الذي خمر به طينة آدم والثاني انه الماء الذي جعل جزءا من مادة كل بشر بل من مادة كل حيوان كما قال والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين قوله اى فسماه فسمين اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد اذا نسب بينه وبين الزوج وذات صهر بصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت وما كان من قبيل زوج البنت فهم اصهار بتواصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتي يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف ذوي نسبه اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر لا تزدرين بقصر من يكون له ام من الروم او سودا ذو عجاب فانما افتهات الناس لوعية مستودعات وللآباء ابناء بين الله تعالى قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فبه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان بن فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولما تواصلوا واما الصهر فلانه من اسباب التواصل والتوالد ثم انه تعالى لما شرح دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين في عبادة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله اى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى وكان الكافر بشركه وعداوته الحق عونا للشيطان على عصيان ربه ليشجعه على الاصرار عليه ويشاركه في قوله والمراد بالكافر الجنس فلا يحتمل ان يكون المظاهرة التي تقتضي اثنين مظاهرة بعض الكفار بعضا لمظاهرة الكافر مع الشيطان ثم انه تعالى بين انه ارسل رسوله اى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اى حال ارسله فقال وما ارسلناك الا مبشرا قوله الا فعل من شاء يعني ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرب اليه تعالى بالايمان والطاعة صور فعل من شاء ان يتقرب اليه بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كون المقصود من التبليغ الذي هو فعله وانتفاعه من الاجر لغوا بد احد يمانع يقلع شبهة طعن في الاجر من اصله كانه قيل لم اعطيتم اياي اجرا فاعطوني ذلك الفعل فاني لا اسأل غيره وثانيها اظهار الشفقة البالغة عليهم بان عد سعيهم لانفسهم وشفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اجرا وافيا مرضيا به وثالثها الاشعار بانهم كانوا يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب ايضا عليه بسبب دلالته اياهم عليه بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لا اطلب منكم اموالكم جعلا لنفعي لكن من شاء ان ينفق

منقطعا

لوجه الله فليفعل فاني لا امنعه منه قوله في استنكاف شرورهم والاغناء عن اجورهم يعني لان الآية
متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسئلكم عليه من اجر فان الله تعالى بين ان الكفار
متظاهرون على ايذائه وامره بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار
وفي جلب جميع المنافع قوله تم وكفى به اي حسبك الحي الذي لا يموت خبيرا بذنوب عباده لا تحتاج معه
الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم وذلك وعيد شديد قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء
اشارة الى قوله الذي له ملك السموات في قوله به بمعنى عن كما في قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفي علقمة فان تسئلوني
بالنساء فانني خبير بادواء النساء وطبيب وتذكير ضميره يرجع الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء
على العرش قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله على ان يكون قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم
ويكون قوله المصنف هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسألوا
عن مسماه فيسألوا عنه بقولهم وما الرحمن فان السؤال عن المجهول بما يميزه انما كما تستعمل فيما علم انه
من غير العقلاء تستعمل ايضا فيما جهل حاله بدليل قولك لمن رأيت شبحا من بعيد ما هو او كانوا يعرفون
كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال
له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده
بتقدير تأمرنا بسجوده فحذف ما حذف منه على التدريج حذف الجار اولا واوصل الفعل كما في امرتك
الخير فقيل تأمرنا بسجوده ثم حذف المفعول الذي هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرنا
ثم حذف الضمير ايضا فصار ملا تأمرنا على ان ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية اي لامرك على معنى
لاجل امرك لنا مع غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمع عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه
على الله اي وقيل قولهم وما الرحمن ليس سؤالا عن المسمى بل سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانه
لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ثم انه تعالى حكى عن الكفار انهم لما امروا بالسجود
للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شانه وباهر سلطانه ما لو تفكروا فيه لاضطروا الى
الايمان به وطاعته فقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وهي المنازل الاثنى عشر كل برج منزلان
ونصف منزل للقمر وهي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي ثلثون درجة للشمس واسماء البروج
الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو

والحوت

والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتان للزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد
والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا
زحل وهذه البروج مقسومة على الطبايع الاربع فيكون لكل واحد منها ثلثة بروج فلثناة الحمل
والاسد والقوس نارية والثور والجدي والسنبلة ارضية والجوزاء والميزان والدلو
مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية وقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج لا في
السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى ولان جاز عوده الى السماء ايضا لشهرة الشمس
والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح في الاتان و
الاشراق قوله اي ذا قمر جواب عما يقال القمر مؤنث فينبغي ان يؤنث صفته ايضا بان يقال منيرة
وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالي ذوات القمر لانه جمع ليلة قمراء اي ذوات القمر ونور
الجواب ان اصل الكلام ذا قمر منيرا على ان يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذو قمر اي ذو
ليال قمر لان الليلة انما تكون قمراء بالقمر فصار القمر كانه صاحب تلك الليلة فقيل له انه ذو قمر لمعنى صاحب
الليالي القمراء ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالي
الا انه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقي حكم المضاف فيه فقيل في صفته منيرا لا منيرة كما بقي في قوله حسان
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل بريد ماء بردى وهو نهر بدمشق
فحذف المضاف واقيم بردى مقامه وبقي حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق
الخلط والمزج قوله ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف الحذف قوله
اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر يعني لان الخلفة مصدر للنوع فلا تصلح لان تكون مفعولا ثانيا
لجعل الليل ولا حالا من مفعوله فان خلفة لا تخلو من ان تكون مفعولا ثانيا او حالا الاول على ان
يكون جعل بمعنى صير والثاني على ان يكون بمعنى خلق فلا بد من تقدير المضاف اي ذوي خلفة ثم ان خلفة تستعمل
بمعنيين بمعنى كان خليفة وبمعنى جاء بعد يقال خلف فلان فلانا اي كان خليفته ويقال خلفه في
قومه خلافة ومنه قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي ويقال خلفته اي جئت بعده والخلفة
في الآية يحتمل ان يكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف يخلف كل واحد منهما الآخر بان
يقوم مقامه اذا بان يعتقبا ويؤيد الاول قول ابن عباس اي جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج

مخطوطات

لن يعمل فيه فمن فرط في عمل في احدهما قضاه في الآخر وما روي عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القرآن بالليل يا ابن الخطاب لقد انزل الله فيك آية وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر ما فاتك من التواصل بالليل فاقضه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في الليل ولن كان جعلهما ذوي اعتقاب يكون المقصود بيانه تعالى جعلهما مختلفين بحيث يجيء هذا ويذهب ذاك ولم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا لا ليل له وليلا لا نهار له ليعلم اعداد السنين والحساب ليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم فيكون في الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته **قوله** ان يشكر لله يعني لن الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح مبالغة الشاكر فقولك تشكر شكرا بمعنى شكر تشكرا اي جعلتهما خلفة ليتفكر المتفكرون فيختلفوا فيشكروا نعمة الله في ذلك وقوله او ليكونا وقتين عطف على هذا المعنى اي جعلنا هما خلفة ليكونا وقتي التذاكر للمتذكرين والشاكرين قرأ العامة لن يذكر بالتشديد اصله لن يتذكر فادغمت التاء في الذال وقرأ حمزة بالتخفيف قال الفراء في وجههما لن يذكر ويتذكر بمعنى واحد قال الله تعالى واذكروا ما فيه ويجوز لن يكون المعنى ليذكروا الله فيهما من اراد ان يذكر ويطيعه بالتسبيح والطاعة ويعلق بقوله عطف قوله او اراد شكورا بكلية او دون الواو والتنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوبا بالجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين ويحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذي يريد ان يتفكر في اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة وبالمعطوف المؤمن الذي يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله فكانه قيل جعلنا هما خلفة ليتفكر الكافر في اختلافهما ويجعل معتبرا على قدرته وتوحيده او يتعظ المؤمن به ويجعله متسعا لذكره وطاعته **قوله** كذلك ليذكروا اي لقد صرفناه بينهم ليذكروا فان العامة قرأه بالتشديد وحمزة بالتخفيف والكسائي ايضا **قوله** واضافتهم اليه للتخصيص اي لان تقيد لهم خصوصية وشرفا ويفضلهم على العباد الذين لم ينتفعوا بذلك ولا فالخلق كلهم عباد الله **قوله** هينين او مشيا هينا الاول على ان يكون انتصابه على الحالية من فاعل يمشون والثاني على ان يكون صفة مصدر محذوف **قوله** تسلما منكم يعني ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل محذوف والاصل

تتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم والمعنى اذا خاطبهم السفهاء بالخنا العقول بأذى و كلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اي لا نجاهلكم ولا نلتبس بشيء من امركم وهو الجهل وما يبتني على خفة العقل والمشاركة المواد عنه **قوله** او سدادا اي صوابا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة اي ما قالوه من حيث المعنى ولا يكون عين عبارتهم **قوله** فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وهو امر مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض واوفق للورع فليس بمنسوخ ابدا قال عليه السلام اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيتطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان من فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **قوله** يبيتون بالتطويل فان من ادركه الليل فقد بات نام او لم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس قال من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا او قائما والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره كما قال تعالى في حق المتقين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وروي عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال من صلى العشاء بجماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر بها كان كقيام ليلة **قوله** وهو جمع قائم مثل جايع وجياع ونائم ونيام **قوله** اي بئست مستقرا او اخرت يعني ان ساءت يجوز ان يكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقررت ان فاعلها يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف به او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهي في الآية مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة فالضمير الذي في بئست لا يعود الى اسم ان ولا الى شيء آخر بعينه بل هو مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير بئست مستقرا ومقاما هي ولن كان ساءت بمعنى اخرت يكون من الافعال المتصرفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها بمعنى جهنم اخرت اصحابها مستقرا يجوز ان يكون تمييزا ولن يكون حالا **قوله** وقرأ ابو عمرو وابن كثير ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقي السبعة بفتح الياء وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعني ان القتير والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضييق الذي هو ضد الاسراف

والاسراف مجاوزة الحد في النفقة فليعتمد على هذا التصحيح فان النسخ مختلفة في هذا المقام قوله وسطا
وعدلا يعني ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمي بذلك لاستقامة الطرفين و
اعتدالهما بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمركز الدائرة فانه يكون نسبته
جميع اجزاء الدائرة اليه على السوآء ونظير كون القيام من الاستقامة السوآء من الاستواء قوله وهو خبر
كان كان واسمها المضمر المستتر فيه العايد الى الانفاق المدلول عليه بقوله وبين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر
او بين ذلك خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو للكون على رأي من يرى اعمالها
في الظرف وقال الفراء ولو شئت جعلت بين ذلك اسم كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا
فيكون معنى الآية وكان من طرفي الاسراف والتقتير قواما اي عدلا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه في
قوة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر في جملة صفات عباد الرحمن
الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنا ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء يلق جزاءه اثمه ويعاقب عليه
ثم استثنى منهم التائب بقوله بمعنى حرم قتلها لان الحل والحرمة من صفات الافعال ولا يوصف بهما الاعيان
قوله متعلق بالفعل المحذوف اي حرم الله قتلها بجميع الاسباب الا بسبب الحق او بلا يقتلون اي لا يقتلون
بسبب من الاسباب الا بسبب الحق اي الا بالسبب الذي يحل به قتل الامرء المسلم وهو الردة بعد الاسلام
والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة من غير ان يطرئ عليها ما يوجب قتلها فالاصل في النفوس
البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل انما يثبت بالعارض فمن يحل قتله بسبب
العارض يدخل في النفس التي حرم الله قتلها نظرا الى حد نفسها قوله نفى عن هؤلاء آثامها بعد
اثبت لهم اصول الطاعات كانه جواب عما يقال ما الفايدة في نفي هذه القبايح عن الموصوفين بالخصال
المرضية السابقة مع انه يبعد منهم ارتكاب هذه القبايح فلا وجه لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفي صفة عن
احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصايل السالفة لا يستلزم
الاجتناب عن هذه القبايح فان الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك وقتل النفس بغير حق و
بالزنا فبين الله تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال واحدا من عباد الرحمن حتى يجتنب الكباير ايضا لان الله
خص من الكباير ما هن امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا موعود
لمجاميع بين التحلي بالفضايل والتخلي عن الرذايل وفي هذا النفي ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كانه

قيل

الايمان ص

قيل وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون بغير حق وانتم
تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون ويحسن النفي تعريضا وان لم يكن المنفي عنه مظنة لثبوت المنفي
له روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا بما عملنا كفارة فنزلت قوله الا آثاما
او اثاما يعني ان الآثام بمعنى عقوبة الاثم وجزائه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد نفس الاثم لابد
من تقدير المضاف لان الاثم لا يلقى نفس الاثم بل يلقى جزاءه قال ابو مسلم الاثام واحد والمراد ههنا جزاء
الاثم فاطلق اسم الشيء على جزائه وقيل الاثام اسم من اسماء جهنم وقيل اسم واد في جهنم وقيل بئر فيها
قوله يضاعف مجزوم في قراءة العامة على انه بدل من الجزاء بدل اشتمال كانه قيل يلق اثاما يضاعف له
من التضعيف في البيت ابدل نلثم من قوله ثأتا ثنا لان الالثام ولثن كان بمعنى النزول الا انه بمعنى الاتيان
والجزل ما عظم من الحطب ويبس والاصح تلتهب النار يقال اجتث النار تؤجج اجيجا اذا التهبت قيل
الالف في ثأجا بدل من نون التأكيد الخفيفة اصله ثأججن ودخلت نون التأكيد في ثأجج مع خلوه
عن معنى الطلب للضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة انت تفعلن وقيل ثأجج فعل ماض والالف فيه
للاشباع وذكر ضمير النار فيه تنأ ويليه بالتشبيه وقيل هو ماض والالف فيه للتنبيه على ذكر الفعل لتغليب
الحطب على النار قوله ويدل عليه اي على انضمامها اي الكفر وجه الدلالة ان الاستثناء للتأثب عن الكفر و
المعصية جميعا يدل على اجتماعهما في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصي
مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكباير
مع الشرك قوله الا من تاب المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لا يتصل لان
المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الا من تاب آمن وعمل صالحا فانه لا يضاعف
له العذاب فيصير التقدير الا من تاب آمن وعمل صالحا فانه لا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء
التضعيف انتفاء العذاب الغير المضعف فالاولى ان يكون الاستثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن
وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فاذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة انتهى ما قيل وخيب عنه
بان الظاهر ما قاله جمهور المفسرين وما قاله ذلك القائل غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا
فانه يحل به ما ذكر الا ان يتوب فانا اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية وقوله فاولئك

يبدل الله سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا
كما روي عن ابي هريرة رضه انه قال ليأتين اقوام يوم القيمة وذنوبا انهم استكثروا من السيئات فيقيل
له يا ابا هريرة من هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات واليه اشار المصنف بقوله بان يمحوا
سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كانهم لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة والوجه
الاول ان يكون التبديل في الدنيا بان يبدل الله قبايح اعمالهم الواقعة في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام
فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا فكان الله يبشرهم بانه
يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبوا بها الثواب الجميل لان يكون المراد بالتبديل تبديل ما في نفوسهم من
الملكات السيئة بالملكات الحسنة فانهم قبل التوبة كان الميل الى المعاصي كيفية راسخة في نفوسهم وبعد
التوبة تزول تلك الكيفية ويحدث بدلها الميل الى الطاعة عن ابن عباس قال كان مشركو اهل مكة
قالوا قبل نزول قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله تعالى
وقتلنا النفس التي حرم قتلها واتينا الفواحش فنزلت هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على رسول الله
عهد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والذين لا يدعون مع الله آلها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا
ثم نزلت الا من تاب فما رأيت رسول الله عليه السلام فرح بشيء فرحه بها وباتا فتحنا لك فتحا مبينا
ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء في قوله تعالى ومن تاب وآمن وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا
فانه في قوة لان يقال من قام وصلى فانه يصلي صلوة وليس في مثله فايدة ظاهرة اشار المصنف الى
الجواب وتوجيه الكلام بوجوه حاصلها ان الجزاء فيه معنى زايد على ما في الشرط وذلك المعنى
مستفاد اما من قوله متابا وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعا الى الله عز وجل فان الشرط
هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي بتركها والندم عليها الى الطاعة لان يتدارك بها ما فرط لو
بمعنى مجرد ترك المعاصي والدخول في الطاعة والجزاء هو الرجوع الى الله رجوعا مرضيا عند الله
مترتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات او مستفاد من لفظ الجلالة في قوله فانه يتوب
الى الله فان الله تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يغفر التائبين ويحبهم ويفعل بهم ما يستوجبون
كانه قيل يتوب الى الله في قوة ان يقول يتوب الى من يعرف حق التائبين ويحسن اليهم ويتفضل
عليهم فكانه قيل ومن تاب عن المعاصي الى الطاعات في الدنيا فان تلك التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله

يعرف صح

ذي الجلال او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع اليا ثوابه في الآخرة
بخلاف الوجهين الاولين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة بل المعنى فيهما تزايد ما اتى به من التوبة في
الدنيا هو التوبة الى الله قوله وهذا تعميم بعد تخصيص يعني متعلق التوبة في قوله تعالى الا من تاب وآمن
المعاصي وههنا مطلق المعاصي قوله لا يشهدون الشهادة الباطلة على ان يشهدون من الشهادة والانتصاب
النور على المصدرية والاصل لا يشهدون شهادة النور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقوله اولا يحضرون على ان يكون شهدون من الشهود وهو الحضور
ويكون انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة هي الاخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان والزور
الكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه احق قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه من حيث
ان الحضور والنظر دليل الرضا به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذي حمله على اهله
استحسان التظارة ورغبتهم في النظر اليه قوله معرضين يعني ان كراما جمع كريم ومنصوب على
الحالية والمعنى مروا مر الكرام الذين لا يرضون باللغو ويتنزهون عن الدخول فيه والاختلاط
باهله يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها قال تعالى في حقهم واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يذكر ما يستهجن التصريح به بان يكنى عنه قوله بالوعظ
او القرآن متعلق بقوله تعالى ذكروا اي اذا وعظوا بالقرآن او اذا تلي عليهم القرآن لم يقعوا
عليها صما لم يسمعوها وعميانا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا بها واداة النفي
وان دخلت على فعل الخرور الا انها المقصود ليس نفي الخرور بل اثبات الخرور ونفي ما جعل قيدا له وهو
الصمم والعمى على ما تقرر من ان نفي المقيد يرجع الى القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها واقبلوا
على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها باذان واعية وابصروها بعيون راعية قوله وقيل المراد
للمعاصي فيكون المراد نفي الفعل لان اثبات الخرور على المعاصي ونفي الحال فاسد بتوفيقهم
للطاعة يعني ان المراد بالنور المسؤل بها تفضيلهم بالفضايل الدينية لا بالمال والجاه ونحوهما
فان المتقين هم تقر اعينهم بصلاح ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله تعالى وانما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها فلا تقر اعينهم

الا ما يجنونه وقرة اعين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر قولك قرت عينه قرّ وقرورا
وصف به الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من في قوله من ازواجنا بيانية كانه قيل هب لنا
قرة اعين اي ما تقر به عيوننا ثم فسرت القرة وبينت بقوله من ازواجنا وذرياتنا والمعنى
اجعلهم لنا قرة اعين وهو من قبيل قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان تكون ابتدائية
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر عيوننا به من طاعة وصلاح يقال قررت به عينا قرة وقرورا فيهما وهو
اتم من القرار اى رضيت فلم تطرف عينى فلم تطمح ايا ما فوقه او من البرد من قولهم قر يومنا من القر
بالضم وهو البرد وقرور العين على هذا كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة
وللحزن دمعة حارة بين الله معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يوذون احدا
وانهم اذا آذوهم اهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالاذى ولكن اضمروا ذلك عنهم وتجاوزوا و
قالوا قولا سديدا ثم بين معاملتهم مع الحق ودعاءهم بالتهجد بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن ضنيعهم في
اموالهم بانهم ينفقونها قوواما ثم بين انهم مع تحليهم بهذه الفضايل التي هي اصول الطاعات يجتنبون
عن اتمات المعاصي ثم بين انهم معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم في حقهم اي في حق انفسهم فان
قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرياتهم ومن قرأ ذرياتنا على التوحيد نظر ايا لتراسم الذرية ذرية
يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما جمع لفظ القوام والرهط
لذلك فيقال اقوام وارهط قوله وتنكير الاعين مع ان المراد بها اعين القائلين وهي معينة
ولا اي شيء ذكرت والجواب عنه انه انما قصد تنكير القرة للتعظيم نكر المضاف اليه فانه لا سبيل الى
تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكر المضاف اليه لذلك فكانه قيل هب لنا سرورا لا يكتنه كنهه
قوله وتقليلها يعني ان القائلين جم غفير فلما قللوا اعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة اجاب
عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة اي عيون غيرهم وفيه ان التعبير بجمع القلة لا يكفي فيه ان يكون
المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة او ما دونها والقلة الاضافية لا تستلزم
ذلك قوله وتوحيد مع انه مفعول ثان لنقوله واجعلنا ائمة قوله بصيرهم على ان لها مصدرية
ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل اطلق ليشيع في كل مصبور عليه والمضض وجمع للمصيبة قوله دعاء

بالتعمير

بالتعمير والسلامة يعني ان التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر
المخلق اياهما وهم في العرفات ولكن ان يكون ذلك هو الله يقوله سلام قولا من رب رحيم ولان يكون
الملائكة يقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ولان يكون بعضهم يحيي بعضا للتكريم و
يسلم قوله او تبقية دايمة عطف على قوله دعاء بالتعمير اي ويجوز ان يكون المعنى ويلقون في
تلك الغرفة نفس التبقية الدايمة ونفس السلامة من كل آفة اى يعطيهم الله البقاء والخلود بان يبقيهم
في الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب مستعملا في اصل معناه لان معنى التحية الاحياء
والتبقية يقال حياه تحية اى احياه احياء كما يقال بقاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى
الاول يكون مجازا لانه ينزل الدعاء بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يبقيه ويخلده فكانه
بقاه وخلده بناء على ان الله تعالى وعد بالاجابة الدعاء حيث قال ادعوني استجب لكم وخالدين
حال من يجزون او يلقون اى مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده
العابدين وعدد خصايلهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عباداتهم امر رسوله
بان يقول للناس حريصا على مبالاة الله بكم واعتنائه بشانكم حيث خلق السماوات والارض
وما بينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء حوايجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم و
تطيعوه فيما كلفكم به من التكاليف وتظفروا به السعادة الابدية والا فهو غني عن عبادتكم
فقال ما يعبؤا بكم اى ما يصنع بكم وباى وجه يحتاج اليكم وهو غني عن العالمين يقال عبا
يعبأ عبأ اى احتاج اليه فيتاه لذلك فقوله لولا دعاؤكم ذكر وجها احدهما لولا دعاؤكم
اياه الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول والثاني ان المصدر مضاف
الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المبنية في الشرع واختار المصنف الاول لكون
الخطاب في قوله قل ما يعبؤا بكم وفي قوله لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير
تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه
لما وجد في صنف من اصناف العبادة وفي الآخر التكذيب صح اسنادهما اليه وكان بتقدير
قراءة فقد كذب الكافرون فقد كذب الكافرون منكم الآن دخول الصالحين الابرار في خطاب فقد
كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال في تاويله فقد كذب صنف منكم لا يخلو عن بعد

قل

والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السورة المكية نازلة لتقريع كفار قريش
على عنادهم وتكذيبهم آيات الله وتسميتهم القرآن باساطير الاولين وطعنهم في رسول الله بقولهم
مال هذا الرسول يأكل الطعام والمأذكر للمؤمنين فتعريض بهم وجواب قسم له تعالى لولا دعاؤكم
محذوف لدلالة المقام عليه اي لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم وقضه فقد كذبتم
موضع ان يقال فقد تركتم عبادتي وخالفتم حكمي على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب حكمنه ج
مستلزم لترك العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل فقد كذبتم معطوفا على شرط
محذوف وقضه فسوف جزاء لذلك الشرط المحذوف كانه قيل اذا علمتم أني لا أعتد بكم لاشتغل
بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب وقضه لزاما خبر كان يكون واسم مضمر والمعنى
يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون التزام مصدرا كالتقال اقيم مقام الفاعل كما يقال العدل مقام
العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب وهو الافعال المنقوعة على التكذيب قضه حم يكتم
بفتح الياء من كتبه لا بضمها من اكتب لانه لازم يقال كتبه بوجهه اي صرعه فاكتبع على وجهه وهو من
النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت الاول بمعنى الملازمة وكلاهما سورة الشعراء
من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما ولازما تمت الفرقان بسم الله الرحمن الرحيم قضه بالامالة
اي بامالة فتحة طا والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هي اسماء فلا يتجه بها فجازت الامالة فيها
وقرأ الباقون بتفخيم الفها على الاصل واظهار حمزة نون سين اي لم يدغمها في الميم لان حروف المعجم في
تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها فوجب اظهارها لانها اتما تخفى متصلة بحرف من حروف الفم
واذا لم تتصل بها لم يوجد شيء يوجب اخفاءها ظاهرا والباقون يدغمون النون في الميم نظرا الى
اتصالها بحرف الغنة قوله والاشارة الى السورة او القرآن يعني ان طسم اسم لهذه السورة او
للقرآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم بتقدير المضاف اي آيات طسم تلك آيات الكتاب المبين
ليصح تلك آيات الكتاب المبين عليه واختير في الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتخلل بين اسم الاشارة و
المشار اليه وهو طسم شيء آخر لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم المدلول عليه قد تكلم به وانقضى او
باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه قضه طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب
المبين خبر المبتدأ الثاني وهذه الجملة خبر المبتدأ الاول وهو طسم بتقدير المضاف فيه ليصح الاخبار عنه

بان تلك آيات المبين والتقدير آيات طسم يعني آيات هذه السورة او آيات جملة القرآن العظيم
تلك آيات الكتاب المبين فهو من آيان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قضه
آيات طسم تلك آيات الكتاب المبين لي هذه السورة المكية او القرآن العظيم كتاب مبين اي ظاهر اعجازه
وصحة انه كلام الله اذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الاتيان بمثله ولما عجزوا عنه معارضته قوله ولعلك
للاشفاق اي الخوف والله تعالى منزه عن الخوف فالمعنى انه الله يأمره ان يخاف على نفسه فلا يتحسر لئلا
تؤديه الحسرة الى الهلاك وهو قضه المصراي اشفق على نفسك قوله لئلا يؤمنوا يعني قضه ان
لا يؤمنوا في موضع النصب على انه مفعول لحذف لام التعليل مع ان كما هو المشهور او لحذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه والتقدير لخيفة ان لا يؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل للمعلل وهو
البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبي عليه السلام لم يحتج الى اللام في انتصاب خيفة بخلاف عدم
الايمان فانه فعل الكفار والبخع فعله عليه السلام فلما لم يكن فعلا لفاعل الفعل المعلل احتيج الى
اللام في تعلق العامل به الا انه حذفت اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر
لا لكونه مفعولا له قضه فظلت معطوف على نزل واتى بما جرى به ماضيا لتحقق كونهم خاضعين
واصله فظلوا لها خاضعين جواب عما يقال قضه خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهي لسببه
من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء وتقرير الجواب ان الخضوع
صفة اصحاب الاعناق بقضه خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع
كان ينبغي ان يغير الكلام اي خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله للدلالة عليه وظلت عطف
على نزل جواب عما يقال كيف عطف الماضي على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضي لا يتسبب
يكون المستقبل ولن يكون مسببا عنه وتقرير الجواب انه نزل ولن كان مستقبلا لفظا الا انه في قوة الماضي
لانه لو اورد بدله لفظ الماضي لكان صحيحا كما عطف لكن المجزوم على اصدق المنصوب لكونه في موضع الجزاء
من حيث ان المعنى ان اخرتني اتصدق ولكن بتين الله تعالى ان آيات هذه السورة المكية من حيث
كونها آيات الكتاب الظاهر اعجاز كافية في الدلالة على وجوه انه قادر على ايتاء ما يدعى الرسالة في دعواه فهي كافية في دخولهم في الايمان وفي قبولهم جميع ما فيها من الاصول
الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ في الحزن على بقائهم على الكفر والضلال

واشفق على نفسك لئن لا تقبلها بلا فايدة فصبره الله تعالى وعزاه وعرفه لئن غمه وحزنه لا ينفع
ايمان متى سبق حكم الله بعدم ايمانه كالذين كتب البينة الاعجاز لم ينفع في ايمانه ثم اذ تعالى على انزل
آية ملجئة الى الايمان لو بلية قاسرة عليه الا انه تعالى لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبتنى
على القسر والالجاء ثم بين انه من جملة وفور رحمته وفضله تجدد لهم الانذار والتذكر وقتا بعد وقت
وكلما نزل عليهم من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن الذي امروا على ما كانوا عليه من الاعراض
والتكذيب والاستهزاء المدلول عليه بقوله فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن والفاء فقد كذبوا للتعقيب
كما انت راليه بقوله فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم عنه وفي قوله فسيأتيهم سببية اي فسيأتيهم بسبب
اعراضهم المؤدي الى التكذيب المؤدي الى الاستهزاء انباء ما كذبوه واستهزؤا به انه هل هو حقيق
بالتصديق او التكذيب ثم نبه الله بعد ما بين انه كلما انزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت لم يزدهم
ذلك سوى التفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث في الارض وقتا بعد وقت تدل على
وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال اولم يروا
الى الارض الآية توبيخهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما في الارض من العجايب على وحدة الصانع وعلمه
او هو استفهام تقرير اي قد نظروا الى ما فيها من العجايب ورأوا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكم في قوله
تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذي بعدها على المفعولية اي كثيرا من الازواج انبتنا
ومن كل زوج تمييز جيء به للدلالة على ان الكثير الذي انبته الله بعض من بعض اصناف النبات بل من جميع
اصنافه على التفصيل قوله وهو صفة يعني ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى في بابه وفي ما له من
المنافع والكمالات التي لا يقدر على اتيانها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اي محمود ومرضي في حسنه
وجماله وكتاب كريم اي مرضي في لفظه ومعانيه ووصف الزوج بالكريم تجيل معنيين الاول ان صفة
مقيدة له تختصه بما هو النافع من نوعي النبات فانه على نوعين نافع وضار فبين الله كثرة ما انبت
في الارض من جميع اصناف النبات النافع وترك ذكر الضار والثاني ان يكون صفة مادحة لا مختصة
فيعم جميع اصناف النبات نافعه فضاره ويصف جميعها بالكرم وبنبته على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه
فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لمعنى صحيح وحكمة بالغة ولئن غفل عنه الغافلون ولم يتوصل اليه فهمه
العاقلون قوله او ظرف لما بعده اي قال رب اني اخاف ان يكذبون اذ نادى ربك وقيل معمول باتل

مغنية

الى وأتل

اي واتل على قومك اذ نادي الله موسى فيما تتلو ويدل عليه ما سيقص فيما بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم
وذلك حين رأى موسى عليه السلام الشجرة والنار قوله ولعل الاقتصار على القوم يعني انه لا شك ان موسى عليه السلام كان
مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى
فرعون وملائه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا يتبعهم
الاتباع في الايمان كان ذكرهم يغني عن ذكر الاتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكر
وذكر رؤساء قومه واقتصر في هذه الآية على ذكر قومه مع الرؤساء والاتباع للعلم بان نفس فرعون كان
اوليا بذلك الا يتقون استيناف لا محل له من الاعراب وهو متعين على قراءة يتقون بياء الغيبة ولا
على القراءة بتاء الخطاب فانه يحتمل التقدير ايت القوم الظالمين وقل لهم ألا تتقون باضمار القول فلا
التفات ح وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استيناف وطريق الالتفات انه تعالى بصدد الشكاية من
قوم فرعون وظلمهم اي نبيه موسى عليه السلام فلما اشتد غضبه اتاهم قطع بث الشكوى اليه موسى وقبل
عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم ألا تتقون وتاورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب
والالتفات اي الجاني انما يصح اذا كان الجاني حاضرا في مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين في مجلس
خطابه تعالى مع موسى في وقت المناجاة اجاب بقوله وهم ولئن كانوا غيبا ح اي حين مخاطبة الله
موسى عليه السلام وتقرير الجواب انهم ولئن كانوا غيبا ح الا انهم اجروا مجرى الحاضر في كلام الشخص الذي ارسل
اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور
ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم في كلام ذلك الشخص ولئن كانوا
غيبا في نفس الامر وقت المكالمة معه مع لطف في الالتفات اليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن
تدبره وتامل مورده لانه لما وبخ الغايب على ترك التقوى وحث عليه قوله اكتفاء بها عن الباء الاضافة
فان اصله على قراءة الكسر ألا تتقوني فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون عن الباء المتكلم
فصار ألا تتقون ويحتمل ان يكون قراءة الكسر مبنية على ان يكون اصل الكلام ألا يا ناس اتقوني بان يكون
الباء في يتقون حرف النداء ويكون المنادي محذوفا كما في قوله ألا يسجدوا فان اصله ألا يا هؤلاء
اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة ويكون النون فيه نون الوقاية
ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اي ائت القوم الظالمين وقيل لهم

٣ مع عدم استماعه كلام المتوجه بالذات فالحاضر المتدبر يكون له اوفر حظا من الحث عليه صح

الزمر

الا يا ناس اتقوني فان قلت هذا التوجيه لا يساعد خط المصحف فالجواب لان خط المصحف سنة
متبعة غير منوطة بالقياس قوله رتب لاستدعاء ضم اخيه اليه على الامور الثلثة مبنى على ان يكون بعضه
يضيق ولا ينطلق لساني مرفوعين بعطفهما على خبر ان وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين عطفا
يكذبون يكون لاستدعاء التضم مرتبا على علة واحدة هي الخوف عن الامور الثلثة فان المعنى ح
ان يكذبون و اخاف ان يضيق صدري و اخاف ان لا ينطلق لساني وعلى قراءة الرفع يكون كل
واحد من الامور الثلثة علة مستقلة لاستدعاء التضم غاية ما في الباب ان يكون بعضها مرتبا
على البعض في الوجود لان حاصل الكلام ح انه لو لم يشترك به هرون في الامر لاختلف المصلحة
المطلوبة من بعثة موسى وذلك من وجهين الاولين ان فرعون ربما كذبه و التكذيب سبب لضيق القلب
وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة لان عند ضيق القلب ينقبض الروح
والحرارة الغريزية اي باطن القلب واذا انقبض اي الداخل وقل في الخارج ازدادت الحبسة
في اللسان فالثاني ذي من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا بدئ عليه السلام
بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح مني لسانا
وليس في حقه هذا المعنى فكان ضمه اليّ وارساله معي لايقا والثاني ان لي عندهم ذنبا فاخاف ان
يبادروا الي بالقتل وح لا يحصل المقصود من البعثة و اما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة
بضمته اليّ وليس ذلك تعللا منه جواب عما يقال كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره الله بامر
فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف و تشبث بعلل ومن حقه ان يسارع في امتثال المأمور به بلا
توقف وتقرير الجواب ان موسى لم يرد بذكر الامور الثلثة الا استعفاء عن تكليف الرسالة والتعلل
بها بل اراد به تمهيد العذر في التماسه المعين فانه قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده
باخيه حتى تعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم بعد ذلك
وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر لا يتوقف في امتثال الامر ولا يتعلل فيه واراد بالذنب
قتله القبطي بالوكزة دفعا عن السبطي واراد بكون ذلك القتل عليه تعلق تبعة ذلك القتل اي
موجبه وجزائه بذمته على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه
اجابة له اي الطلبتين تثنية طلبة بكسر اللام وهي ما طلبته من شيء طلب معه امر بن الاول ان يدفع عنه

شتر

شترهم والثاني ان يرسل معه هرون فاجابه الله اي الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه
فانهم لن يقتلوك به لاني لا استطهم عليك بل استظهر عليهم و اجابه اي الثاني بقوله فاذهبا اي اذهب
انت و الذي طلبته وهو هرون قوله مع موسى وهرون وفرعون لو تعلقا معهما بالعوالي لتصور وقوع
فرعون بالكسر والقهر قوله سامعون حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء وامالة حاسة السمع اي جهة
الكلام والله تعالى سامع غني عن الاستماع والاصغاء فكذلك جعل المعنى نسمع ما تقولانه وما
يجيبونكما به وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة امور
قوله لانه مصدر وصف به مبالغة او بتقدير ذو رسالة رب العالمين قوله بعد ما اتياه فقالا
له ذلك اشارة الى ان في الكلام حذفا اي فذهبا اليه ودخلا عليه وقالا له ما امرهما الله به فعند
ذلك قال فرعون ما قال يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة قال البواب
له ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاذن لهما
فدخلا عليه و ادّيا اليه الرسالة فعرف موسى فعدد نعمه عليه اولا ثم اساءة موسى عليه السلام
كانه يريد ان من بلغ سوء خلقه الى ان لا يعرف حق المربّي كيف يليق بمنصب الرسالة والوليد
الصبي الصغير وكان عليه السلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا و الفعلة بالفتح بناء المرة
وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها
الخاص فان تنكير الشيء و ابهامه قد يقصد به التعظيم قوله او تمنّ تكفرهم الآن اي فعلتها والحال انك
في ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون اي كنتا اي الآن منا وعلى ديننا والآن
حيث تكفرنا وهذا من غاية جهل المتعين لان الانبياء عليهم السلام لم يزالوا على التوحيد والبراءة
من الشرك والله تعالى عاصمهم من يستنبئه من كل كبيرة فما ظنك منه الكفر واذن في قوله تعالى فعلتها
اذن حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيد فان سيبويه ونص على انها للجزاء والجواب
لكن شراح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تتمحض للجواب وتتخلف عنها الدلالة على المجازاة والحاصل ان موسى
لم يرد بالضلال الكفر لانه اراد به رد قوله وانت من الكافرين بل اراد به اما الجهل والسفه والمعنى وانا
من الفاعلين فعلا اوليا الجهل والسفه من غير اتباع الوحي والدليل وانا الخطأ في الفعل حيث قصد المنع
والتاديب فضل عنه ووقع منه القتل وانا الذهاب في الضلال عما يؤول اليه الوكز وعن معرفته وانا التنبا

كما في قوله تضل احديهما فتذكر احديهما الأخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكير انما يكون
بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه السلام على جميع التقادير انما وتحتني به وتعدد على ذنبا انما
فعلته على وجه لا يعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلا عن ان يعد كافرا حقيقة او كافرا للنعمة فانه
كيف يعاتب من فعل فعلا برآه على قصد الاصلاح والتأديب بل يستحق ان يثنى عليه ويحسن فعله
ولم اذى اي القتل والاهلاك قوله لانه كان صدقا لان تربيته امر ظاهر معلوم لا يصح رده
وانكاره وكان غير قادح في دعواه لما تقرر في العقول ان الرسول اذا كان معه معجزة وحجته
لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم ينعم فلذلك لم يكن لقوله فرعون الم نربك فينا
وليدا نافعا له ولا قادحا لموسى فلذلك لم يقرح برده قوله اي وتلك التربية نعمة اشار اي
ان تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها على صفة نعمة
ولم عبدت خبر مبتدأ محذوف اي وهي في الحقيقة تعبيدك قومي أقر عليه السلام بكون تلك
التربية في صورة النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببة بالنقمة التي هي قهر
بني اسرائيل بذبح ابنائهم فانه لو علم بفعل ذلك لتكفلت امه بتربيته ولما قذفته في اليم حتى
يصل الى فرعون ويربيه بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببا له يقال عبدت واعبدت
واستعبدته وتعبدته اذا اخذته عبدا وقهرته وذللته قوله او بدل نعمه كانه قيل وتلك نعمة
تعبيدك بني اسرائيل فيؤل المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بني اسرائيل ولا شك ان في التربية
ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد ونتيجة له جعلت نفس التعبيد مبالغة في السببية
والاستلزام قوله او الجر باضمار الباء او النصب بنزع الخافض كما ان ضمير محل الضمير البارز في تمنها
كذلك فان تمن يتعدى بالباء فهي مضمرة والتقدير تمن بها او محذوفة كما في قوله تعالى واختار موسى
قومه وعلى التقديرين يكون ان عبدت بدلا من ها وتمنها قوله اي خصلة شنعاء مبهمة وصف الخصلة بالشناعة
دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره بتنزيل بعده عن ساحة عز الحضور
والخطاب والخطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية
المتقدم ذكرها بل هو امر ذهني تصوره عليه السلام واشار بقوله تلك ثم فسره بما اخبر به عنه فان موسى
تصور قوله نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل من حيث انها نعمة فيكون خصلة شنعاء فاشار

معلومات
الرياض

اليها بتلك وجعلها مبتدأ واخبر عنها ثم بينها بقوله ان عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة
الى غير الأخ فكان المعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي فان القبطي ولم امتن بتربيته اياه الا
ان تلك التربية لما كانت مسببة عن تعبيدي بني اسرائيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم قوله
لم يدعواي لم يكف ولم يمتنع وهو من باب افعل من رعا يرعوا اي كف عن الأمر يقال ارعوى
عن القبيح وتقديره افعول ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو لوقوعها
رابعة في الطرف قوله شرع في الاعتراض على دعواه لم يذكر في نظم هذه الآية ان موسى عليه السلام دخل
على فرعون وادى الرسالة وقال له انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال
فرعون لموسى بعد ما اتياه وقد علم ذلك كما ذكرناه فانه تعالى لما قال لهما فاتيا فرعون وقولا انا
رسول رب العالمين استلزم ذلك انهما اتياه فقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون
وما رب العالمين يسأل به عن حقيقة الخاصة ويقول اي شيء هو مما يطلق عليه اسم الشيء كانك
تريد به التعريض بانكار آلهيتي وبعل عليه قوله الآتي بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت آلها غيري
لاجعلنك من المسجونين فاجابه عليه السلام بما فيه انكار آلهيته ولم يكون رب العالمين تعريضا حيث
قال رب السموات والارض وما بينهما كانه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين هو
رب السموات والارض مدبرا امرهما واما هما على التفصيل ثم قال لئن كنت انت وهؤلاء الجهال
الذين اتخذوك آلها وسموك برب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذي
يؤدي بهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة عن كل ما يعلم به الخالق من السموات والارض وما بينهما وانه
ربها هو الذي خلقها ورتق من فيها ودبر امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته ومبدأ لجميع الممكن
وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب التعيين من جوابه فقال من حوله
الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية او بزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهي
واجبة متحركة لذاتها فثنى عليه السلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين استدل اولا بامكان الاجرام
العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجه يستند اليه جميع الموجودات بأسرها
ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ما هو اقرب بالنسبة اليه المستدل وهو نفسه ومن ولد منه فان
دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه اشعارا بهذا وتم

وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذواتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في
انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود
وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا اليه فهذا
التعريف بهذا الاثر اظهر فلذا عدل موسى اليه فقوله وبينهما منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون
مرفوع معطوف عليه فلا يمكن فعند ذلك احتد اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا
المقصود من سؤال ان طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية
البتة فهذا الذي يدعى الرسالة مجنون لا يفهم المقصود في السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبي الله الى
تعريف ثالث اوضح من الكل فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد
بالمشرق طلوع الشمس وبالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وظاهر ان هذا التدبير على وجه العجيب لا يتم الا
بتدبير المدبر الحكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه عليه السلام استدل اولا بالاحياء
والاماتة حيث قال ربي الذي يحيي ويميت فلما عارضه نمرود التعين بقوله انا احيي واميت قال ابراهيم
فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فكذا موسى عرف رب العالمين اولا بقوله
ربكم ورب آبائكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب
فانه بمنزلة قول الخليل فأت بها من المغرب فلما تعاصى كتم تعقلون فكانه قال ان كنتم من العقلاء عرفتم انه
لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف حقيقته وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقة
بنفس حقيقته ولا بأجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرف حقيقته بالآثار الخارجية والافعال المختصة
واذا عرفت حقيقته بتلك الآثار ثبت ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته
لا ينبغي اولا جواب عما يقال كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون فانه
معارض لقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فقد قالوا ارجه قرأ ابن كثير وهشام
هنا وفي سورة الاعراف ارجئه بالهمز وضم الهاء الباقي يصلها واو وابو عمرو بالهمز من غير صلة
وضم الهاء وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالون بغير همزة يختلس الكسرة و
ورش بغير همزة ويصلان الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همزة ويسكنان الهاء والهاء في الوقف
ساكنة بلا خلاف الا في مذهب من ضمها سواء وصلها او لم يصلها فان الروم والاشمام جائزان

فيها

فيها كذا في القراءة يقال ارجئت بالهمز وارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون
مرجون لامر الله ومرجؤن لامر الله اي مؤخرون حتى ينزل فيهم ما يريد قوله شرطا يحشرون
اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف محذوف وهو مفعول ابعث والشرط جمع شرط
بسكون الراء وفتحها وهي اسم لخيار الجند وهم اول كتيبة يحضرون الحرب الجمهرة الشرط
بالعلامة واشرط فلان نفسه لامر كذا اي اعلمها واعدها قال الاصمعي ومنه سمي الشرط لانهم جعلوا
لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطي وقال ابو عبيدة سموا لانهم اعدوا انفسهم لما
وقت من ساعات يوم معين يعني ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان
المعين له ومنه ميقات الاحرام يقال هذا ميقات اهل الشام للموضع الذي يحرمون منه واضيف
الميقات الى اليوم على طريق اضافة الشيء الى زمانه لكون الميقات جزءا من ذلك اليوم وساعة من
ساعاته فبين بالاضافة اليه كانه قيل الميقات الذي هو في ذلك اليوم وجزء منه واليوم المعلوم
يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم في كل عام روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه وافق يوم السبت
في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم عاشوراء وميقاته وقت الضحى
لانه الوقت الذي وقت لهم موسى من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى واغا عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشتهر ذلك في الاقطار واختار
قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى بمحضر جمع عظيم ورضي فرعون باقوالهم وعلم عجزه
لان حب الشيء يعمي ويصم وكان هذا ايضا من لطف الله تعالى في ظهور امر موسى قوله او عبدت
منصوب بالعطف على محل دينار فانه وان كان مجرورا لفظا بالاضافة الا انه في محل النصب على
انه مفعول باعث ودينار اسم رجل وكذا عبدرب واخاعون منادى مضاف اي يا اخا عون
ولو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام لجئ بجواب الناس فعلم منه انه استبطأ واريد به الحث
الى مبادرتهم الى الاجتماع وكذا في البيت قال الامام روي ان العصا لما انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول
فرعون اسئلك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف في هذه الآية
ثعبان مبين وفي آية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي آية ثالثة كانها جان قيل الى الصغر والنعبان
والجان ام

ای الکبر فاجاب عنه بقوله انما الحیة فی اسم الجنس ثم انها لکبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها
وسرعة حرکتها فصح الکلامان وتحمل انه شبهها الشیطان لقوله تعا والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وتحمل انها کانت صغیرة کالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقصه ثعبان مبین انه
یبین للناظرین انه ثعبان بحرکاته وبسایر ما فیه من العلامات ولیس شیئا مزورا یشبه الثعبان کما
اظهره السحرة قوله والترجی باعتبار الغلبة ای وترجی الاتباع باعتبار الغلبة فالمراد انا نرجوان ٢ ترجی ح
یکون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجی باتباع السحرة عدولا الی طریق الکنایة انتهی ای المبلغ
قصه ولم یرد به امرهم بالسحر جواب عما یقال کیف جاز لموسی ان یامر السحرة بالقاء الحبال والعصی
فانه سحر وتلبیس وکفر والامر بمثله لا یجوز قصه قرا حفص تلقف بالتخفیف ای باسکان اللام مخففا
والباقون بفتح اللام مشددا والتلقف تناول الشئ بسرعة والافک بالکسر الکذب وبالفتح مصدر
افکه یافکه افکا ای قلبه وصرفه عن الشئ ومنه قصه اجئتنا لتافکنا عما وجدنا علیه آبائنا
جعل المصنف کلمة ما فی ما یافکون موصولة بحذف العاید ثم جوز کونها مصدریة والافک بالمعنی
المصدری لعالم یصح ان یتعلق به التلقف سوآء جعل بمعنی الاخذ او الابتلاع جعل الافک بمعنی
المأفوک وسمی الحبال بالافک مبالغة کانها عین الافک کما فی قولهم هذا خلق الامیر ای مخلوقه قصه
وتزویر ای تحسین بقال زورت الکلام والکتاب اذا حسنته ووجه الدلالة علی ان منتهی السحر
تمویه وتزویر ان حقیقة الشئ لو انقلبت الی حقیقة شئ آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصی حیة من قبیل
المعجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدین عند مشاهدته ووجه دلالته علی ان التبحر فی کل فن
نافع ان السحرة لو لم یکونوا فی الطبقة العالیة من علم السحر ولم یکونوا عالمین ان منتهی السحر انما
هو التمویه والتزویر لما تیقنوا انه ما جاء به موسی لیس بسحر وما کان ذلک الا بسبب تبحرهم فی علم
السحر قوله وانما بدل الخرور بالالقاء یعنی ان المعنی خروا وسقطوا ساجدین لکن عدل الی القوا
للث کله لقصه القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم فالقی موسی عصاه ویدل علی انهم لم یتمالکوا
انفسهم حین ما شهدوا امرا خارجا عن حد السحر فخروا بدون الاختیار کان ملقیا اخذهم والتقاهم
علی وجوههم فقصه فالقی السحرة استعارة تبعیة قوله بدل من القی فلذلک لم یتخلل بینهما عاطف
قصه ابدال للتوضیح ودفع التوهم فان من قال لئن اتخذت آلها غیری وتعجب من نسبة الربوبیة

الی غیره فقال الا تسمعون لا یبعد ان یتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمین الایمان
بربوبیة اللعین فابدلوا منه قولهم رب موسی وهرون لیندفع ذلک التوهم ولیشعر اضافة الیهما
انه الموجب لایمانهم بما شاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه علی ایدیهما فلما سمع اللعین انهم
باجمعهم آمنوا بالله وصرفوا وجوههم عنه خاف ان یقبل قومه ان هؤلآء السحرة علی کثرتهم و
بصیرتهم لم یؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسی فیؤمنوا به کالسحرة فبادر الی ان یلبس
علی قومه ویغرهم عن موسی واتباعه فقال اولا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لکم اراد به وصفهم
بسرعة الاغترار وسوء التدبیر والسفاهة ثم قال انه لکبیرکم الذی علمکم السحر صرح به ماذکر اولا
بطریق الرمز کانه قال ان استاذکم هذا لم یعلمکم بعض اسرار صنعته لیغلب به علیکم وقت
الحاجة فاغتررتم وظننتم انه علیکم بالمعجز الالهی ولیس کذلک فانه انما غلب علیکم بقوة علم
العلم لکنکم لم تحیطوا بما احاط به علما وتحتمل ان یکون مراده وصفهم بالخیانة علی سلطانهم
بعصیانه وتغییر رعیته عنه کانه قال لم تتمحوا فی اظهار صنعتکم والغلبة علی خصمکم عن مواطئة
بینکم وبینه لیظهر امره وتتم مقصوده والا فکیف عجزتم عن ان تفعلوا مثل ما فعله ساحر
مثلکم ثم اوعدهم علی الاجمال والابهام فقال ولسوف تعلمون ثم بین ذلک المجمل وفصل
ذلک المبهم فقال لاقطعن ایدیکم وارجلکم من خلاف ای من اجل خلاف ظهر منکم علی کلمة
من للتعلیل کما فی قصه تعا مما خطیئاتهم اغرقوا وتفسیر قطع الید والرجل من خلاف بقطع
ید الیمنی ورجل الیسری کما فی الحدود لانها سبب کمال فرعون وما هو بصدده لانه تخفیف للعقوبة
واحتراز عن تفویت معنی البطش والمشی علی الجانی ومن لم یحط ببالة هذا التاویل قال قصه هذا
دلیل علی حمقه حیث اوعدلهم فی موضع التغلیظ بما وضع للتخفیف ولسوء الآیة ما یدل
علی انه فعل بهم ذلک او لم یفعل والله اعلم بذلک قصه لاصلبنکم فی ذلک تقدیر للخبر المحذوف
ولیس مرادهم انما اوعدهم به لئن وقع لا یضرهم اصلا بل المراد ان ذلک لیس بضرر بل فیه نفع
عظیم لنا من حیث کون الصبر علیه مؤدیا الی تکفیر الخطیئات ورفع الدرجات او من حیث انه من
جملة اسباب الانقلاب الی ربنا وانه انفعها وارضاها فمعنی الاستیناف علی هذا انما نرغب فی
به لا ینجینا عن الموت حتی یکون وقوعه ضررا مؤدیا الیه فان الانقلاب الی الموت الذی لا حاکم علی

مخطوطات الریاض

الانسان بعض الا الله امر كائن لا محالة باى سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من الاسباب بكونه
اضر من غيره كانه قيل لا ضرر علينا فى ذلك بالنسبة الى سائر الاسباب الموت لا تاتينا لا محالة باى
سبب كان فلنخترط بهذا السبب فالمعنى الاول لا ضرر علينا فيه بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه
موديا الى الكرامة عند الله قوله تعليل ان لنفى الضرر هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة التعليل
الاول اتا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير فى بعضه بل بالنسبة الى البقاء واما على تقدير
كون الخلاصة اتا الى كرامة ربنا منقلبون بذلك فانظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدمة قوله او على طريقة
المدل بامره اى الواثق به يقال ادل بالامر اذا وثق به واعتمد عليه قوله من سرى سرى وسرى
لغتان بمعنى يقال سرى يسرى بالكسر سرى بالضم ومسرى بالفتح وسرى ايضا اى سار ليلا
روى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى
بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم
اذبحوا الجدا واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم
بقتل ابكار القبط واخبزوا خبز افطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف العجين اى الذى لم يختمر والكل
شئ اعجلته عن ادراكه فتوفطير ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى وموسى لا يشعر
قوله لفاعلون ما يغيظنا اى يغضبنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاول اشهر
واختلف فى الفعل الذى غاظهم وضاق به صدرهم فقيل لما قوم موسى قالوا لقوم فرعون لما لنا
فى هذه الليلة عبدا فاستعاروا منه حليتهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى
جانب البحر فرادهم بالفعل الذى غاظهم ما اخذوه من العوارى وقيل اراد وا به خروجهم عن طاعة
فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد بهم مخالفتهم فى الدين وخروجهم عنهم قوله او اعتذر
بذلك كانه قال انهم بغلتهم وحقارتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا وكن قوم من عادتنا التيقظ والحذر فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم
مادة فساده قوله المؤدى فى السلاح بالهمزة اسم فاعل من آد الرجل اى قوى من مجمة الاداة
والسلاح قوله بان خلقنا فيهم داعية الخروج يعنى انهم ولئن خرجوا باختيارهم الا انه اسند
الاخراج اليه تعالى اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق فى قلوبهم داعية الخروج فاستدعت

الجدى جمع جدى
وهو ولد
الماعز

الداعية

الداعية الفعل وهو الخروج من حيث اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جارية وكنوز اى
الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوها سماها كنوزا لان ما لا يؤدى منه حق الله فهو كنز وان كان
ظاهرا على وجه الارض وما اذى حق الله تعالى منه فليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين يعنى بالمقام
الكريم المنازل الحسنة من منازل الامراء والرؤساء التى كانت تحف بها الاتباع قوله مثل
ذلك الاخراج يعنى نصب محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف واما الجر على انه صفة مقام
واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة فاتبعوهم بقطع الهمزة من اتبعه من باب الافعال
بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها على الشر
مشرقين حال اما من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول فى وقت شروق الشمس حاصل
قايم بهم جميعا يقال تبعه اذا لحق اثره واتبعه اذا لحقه قوله وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء
من الادراك وهو التتابع فى الهلاك يقال ادرك الشئ اذا تتابع بعضه بعضا فقط ومنه قوله حتى
بل اذا ادرك علمهم فى الآخرة اى جهلوا علم الآخرة قيل الادراك والتتابع من اسماء الغالبة فى الهلاك
كالتدابة والبيت والسنة فى النوس والكعبة وعام الفحط قوله اى فضرب فانفلق يعنى تسبب فانفلق
للعطف على محذوف والانفلاق الانشقاق اى فانشق البحر وتفرق اثنى عشر فرقة اى قطعة وطريقا
لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال فكان كل فرقة
اى كل جزء تفرق منه كالطود العظيم والطود الجبل وعظمه ارتفاعه طولا لا تواء قوله وقربنا
وقبل جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثمة طرف مكان بعيد والمراد بذلك المكان حيث انفلق
البحر والآخرين مفعول ازلفنا والمعنى قربنا هم من بنى اسرائيل او قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى
لا يخلو منهم احدا وقد منا هم البحر روى ان جبرائيل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان
يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم اولكم وروى انه
موسى عليه السلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل
لنا مخرجا وهذا معجز عظيم من وجوه احدها تفرق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فوق كل
فرق منه حتى صار كالجبل العظيم فى ارتفاعه وفى عدم انبساطه الى اطرفه وثالثها انه ثبت فى
الخبر ان الله ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا الغدد الذى تلك

معه عبور بني اسرائيل و رابعها ان جعل الله تعالى في تلك المجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم
وخامسها انه ابقى الله تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما
تخلص موسى عليه السلام جعل الله تعالى في ذلك البحر طريقا يبسا لبني اسرائيل حتى خرجوا عنه سالمين واغرق
فرعون ومن معه بانه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا اجمعين قوله آية آية
يعني ان التنكير في قوله لآية للتعظيم وفيه تسلية للنبي عليه السلام لانه قد يعظم قلة المبالاة بتكذيب قومه مع
ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدي بمن قبله من الانبياء في الصبر على عناد
قومه والانتظار لمجيء الفرج قوله وبنو اسرائيل بعد ما نجوا مبتدأ وقوله سئلوا بقرة خبره يعني انهم بعد
من الغرق ارتد اكثرهم وما داموا على الايمان يريد ان ضمير اكثرهم يعود اليما من عاين هذه الآية
العظيمة وشاع امرها فيما بينهم سواء كان من القبط او من بني اسرائيل ويجوز ان يكون الضمير فيه راجعا
الى القبط خاصة فانه روي انه لم يؤمن من اهل مصر سوى آسية امرأة فرعون وخربيل مؤمن آل فرعون
ابن عمه ومريم بنت ناموس التي دلت على عظام يوسف عم فان موسى لما اسرى ببني اسرائيل من مصر اراد
ان يأخذ معه جسد يوسف عم فلم يوجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة قوله سألهم مع انه عم يعلم انهم عبدة
الاصنام فقال اي شيء تعبدون لبيته على ضلالهم وكان يكفيهم في الجواب ان يقولوا اصناما كقولك وسألوه عن
ماذا ينفقون قل العفو اي ينفقون العفو الا انهم اطالوا الجواب بأن زادوا قولهم نعبد ولم يقتصروا
على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما فلم
يقتصروا عليه بل عطفوا عليه قولهم فنظل لها عاكفين اظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادتهم
الاصنام والبهج بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال بهج بكذا اذا تجيها فتبتهج اي اكوحشه ففرح ويقال ظللت
اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار فلذلك قال فنظل ههنا يعني تدوم قوله يسمعون دعاءكم او يسمعونكم
تدعون يعني ان حق يسمعون ان تتعدى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك
وسمعت حديث زيد او تتعدى الى مفعولين اولهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الاصوات
المسموعة نحو سمعت زيدا يقرئ ولا يجوز سمعت زيدا ولا يجوز سمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع
وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلا بد ان يحمل على تقدير المضاف او على تقدير المفعول الثاني الذي
يكون من قبيل المسموعات قوله ومجيئه مضارعا جواب عما يقال ان كلمة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضي لا يكون

ظرفا

دون القبيل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لا يختص بالنهار

ظرفا ما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم او اسمعوكم الجواب اذ دعوتموهم وتقرير الجواب
ان اصل الكلام ما قلتم الا انه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها استحضار
الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت
والالزام من ان يقال هل سمعوا او اسمعوا اذ دعوتموهم وتقرير الحجة التي ذكرها ابراهيم
لابيه وقومه ان من عبد غيره لا بد ان يلتجئ اليه وفي قضاء حاجته وان المعبود لا بد ان يعرف مراده
ويسمع دعاءه ثم يستجيب له في جلب منفعة او دفع مضرة فقال عليه السلام لهم اذا كان الذي
تعبدونه فعند قيام هذه الحجة عليهم تمسكوا بالتقليد فقالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اي
وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على ان كذلك منصوب بيفعلون ويفعلون مفعول ثان لوجدنا وما
كان خلاصة جوابهم انا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما اقمتم من الحجة قال لهم ابراهيم عم
افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان الباطل لا ينقلب حقا بكثرة فاعدوه وكونه
ذا بادة ثم ان عليه السلام ترقى في تخطئتهم فقال لكم كنتم ما تعبدون اذ انا لعابديهم فضلا عن
ان ينفعونهم ويضرونهم فانهم يتبرؤون منكم ويضلونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا قوله من حيث انهم يتبرؤون منهم
جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهن جمادات لا يتصور العداوة منهن يعني انما
شبهت بالعدو من كونها سببا للحوق المضرة من جهتها فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرير
الجواب الثاني انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عبادتها اعدى عدو الانسان وهو
الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازي حيث اسند وصف السبب الحامل اي مسببه قوله استثناء
منقطع لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ما كان قومه يعبدونه ولعله ولكن رب العالمين
الذي شانه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير الصريح لقوله يهدين ليعم كل ما هداه
الله اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه وقوله الذي خلقني يحتمل ان يكون في محل الرفع على
الابتداء فيكون فهو مبتدأ ثان ويهدين خبره والجملة خبر الاول ودخل الفاء في خبره لتضمن المبتدأ
معنى الشرط وهو قوله الذي والفاء للسببية لان جعل الموصول مبتدأ ولا يخلو عن بعد لان الموصول ههنا
معين ليس بعام كما في قولك الذي يأتيني فله درهم ولان الصلة ليس مما يحتمل صدوره من المتعدد

فله درهم

فلا يشبه الشرط فالظاهر انه يقال ان جعل الموصول مبتدأ يكون زيادة الفاء في خبره مبنيا على ما ذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل انه يكون في محل النصب على انه صفة رب العالمين فيكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقني لتدل على تراخي هداية الله اياه كل ما يحتاج اليه في امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين ان خلقه الله تعالى ونفخ فيه الروح الى ابد الآباد والا فمن هداه الله اليه يهتدي بالهام في بطن امه استحصاصا ومن هداه اياه خروجه منها منكسا رأسه واياه معرفة الثدي عند الارتضاع واياه معرفة النكاء عند الجاعة الى الغذاء واياه حدوث الآلام والادواء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد فقوله فهو يهدين يفيد النظم بعني قال خلقني بلفظ الماضي لان خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد وفي الدنيا بل ما وقع بعد الى الابد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدد كل حين فقوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين اضاف الاطعام اليه وفي الانعام عادة لان التركون اليه الانسباب عادة الانعام وليس الاطعام والسعي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتملكها اياه بل يدخل فيهما اعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله في الدنيا ونبه بذكرهما على ما عداهما قيل تقديم هو في هذه الصلاة دليل على انه لا يندى ولا يطعم ولا يسقى ولا يمرض الا يشفى الا الله وهذا ذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان ومن الاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فاعلم ابراهيم عم نم المؤثر في جميع ذلك ليس الا رب العالمين قوله الصحة والمرض في الاغذية يتبعان المأكول والمشروب فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة كما قيل بنية الشاعر قوله عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وفي الحكمة ليس للبطنة خير من خصة تتبعها قوله واذا مرضت فهو يشفين الى قوله ولم يقل واذا امرضني مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم عم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لاجرم لم يضف اليه تعالى ولما ورد على هذا الجواب ان يقال الاماتة اشد من المرض وقد اسندها الى الله حيث قال والذي يميتني ثم يحيين اجاب عنه بانا لا نسلم انها اشد من المرض بل ليس فيه ضرر اصلا لان الضرر ما يتأذى الانسان

باحساسه

باحساسه وحال حصول الموت لا يقع الاحساس به وانما الضرر في مقدماته وهي عين المرض ثم ضرر في الجواب وقال نفوسهم الزاكية والارواح الطاهرة الكاملة في العلوم والاخلاق المرضية في هذه الاجساد عين الضرر في حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى قوله ولان المرض عطف على قوله لان المقصود تعديد النعم اي لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه في غالب الامر يحدث بتقصير الانسان وهذا كان للانسان تسبيبة ظاهرة في حدوث المرض نسبه اليه ونفى كان الكل من عند الله تعالى وايضا لما كان حدوث المرض بسبب بعض الاخلاط بعضا من حيث انها لما كانت متكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافر طبعيا وذلك التنافر يستدعي استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعي وسوء المزاج وذلك البطلان وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر الاخلاط فلذلك اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعي وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عوده الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر ايقهرها عليها من حيث انها بطباعها مايلة الى التفرق والاستيلاء بعضها على بعض وذلك السبب القاهر هو الله تعالى فلذلك اسندت الصحة والشفاء اليه تعالى ولهذا المرض الى العبد وقوله قد منصوب على المصدرية كاستحفاظ لانه نوع منه والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف قوله كالا في العلم والعمل اي زيادة علما اعطيتني من الحكمة وهي العلم الذي يتصل به العمل المقتضي فان من يعلم شيئا ولا يأتي بما يناسب العلم لا يقال له حكيم قوله وحسن صيت الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن العقول العام في الامم التي تجيء بعد الى يوم القيمة باللسان لكون اللسان سببا في ظهور وانتشار وبقاء الذكر الجميل على السنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضاء الله تعالى ومحبته للعبد فانه تعالى اذا احب عبدا يلقي محبته الى اهل السموات والارض فيحبه الخلايق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء قوله اوصاد قاهر ذرية فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فيكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة وبزكيهم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام قوله وقد مر معنى الوراثة فيما وهو لي بشبه الجنة التي استحق

وخلاصهم عنها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم هـ

العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى
استحقاقها اسم العوارثة وعلى العامل اسم الوارث واعلم ان بالهداية والتوفيق للايمان فانه يجوز
الاستغفار للاحياء من المشركين لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه
فيكون الاستغفار لاحيائهم عبارة عن طلب توفيقهم لما الايمان والذي لا يجوز هو الاستغفار لهم بعد
تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر ولم كان من الاستغفار منه بعد موت ابيه فلعله كان
يظن انه قد آمن باطنا ولم كان على دين نمرود ظاهرا خوفا منه ولظنه هذا قد وعد ابا ان يستغفر له
حيث قال لاستغفرن لك لانه استغفار في حق المؤمن لم جاز لم يكون معناه لاطلبن مغفرتك بالتوبة
للايمان فانه يجب ما قبله ولا وجه لان يقال قصه ولذلك وعده معناه لم ابا وعد ابراهيم بالايمان لانه
ولم روي ان اباه وعد به يوم فارقه الا انه لا يناسب هذا المقام قال للامام لم ابا قال له انه على دينه
باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له بالمغفرة باعتقاده لم الامر كذلك فلما تبين له
خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليضال
لما قال ذلك انتهى وحاصله انه دعا لابيه حال حيوته بالمغفرة بناء على اعتقاده انه اي ابا مؤمن
باطنا ولم قصه انه كان من الضالين معناه انه كان فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون مغفرة
لابيه طلبا قبل قصه للايمان يكون معنى قصه انه كان من الضالين انه من المشركين في الحال كما في قصه
كيف تكلم من كان في المهد صبيا فان كان فيه زائدة للتأكيد والمعنى من هو صبي في الحال
ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت حمل دعاءه عليه السلام بترك الاخزاء على الدعاء بترك المعاتبة
على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة في قصه لم يغفر لي خطيئتي ولانه
لو حمل على الدعاء بترك تعذيبه لما كان لهذا الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة لا يستلزم ترك
المعاتبة كان ثم جوز لم يكون المراد من الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قصه اطمع لم يغفر لي مبني
على الدلايل الدالة على ان الانبياء معصومون مأمونون عن سوء العاقبة ولم دعاءه بترك التعذيب
يوم البعث مبني على انه لا يجب على الله لاحد شئ ولانه يحسن منه كل شئ ولا اعتراض لاحد عليه في
شئ من افعاله فتكون العاقبة خفية من هذا الوجه لان حسنات الابرار سيئات المقربين فلعلها
درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل احد بما يليق به الجوهري خزي يخزي خزيا اي

كثير فائدة بعد قوله الذي اطمع لم يغفر لي خطيئتي يوم الدين خلافا لما توهم على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لا يستلزم ترك المعاتبة فلذلك افرد الدعاء بها

ذل

ذل وهان وخزى ايضا يخزي خزاية اي استحيا وخجل فهو خزيان وهم خزايا فهي خزيا قوله اي لا ينفعا
احدا الا مخلصا على ان يكون مفعول لا ينفع محذوفا وهو قصه احدا ويكون من نكرة موصوفة في
محل النصب على انه بدل من المفعول المحذوف او على الاستثناء المتصل منه قوله او لا ينفعان الا آل
من هذا شانه على ان يكون الا من اتى الله بدلا من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى قوله اي
لا ينفع غنى الا غناه فان المال والبنين لكونهما من اسباب الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا
مرسلا ثم لم يستثنى من جنس الغنى غنى من اتى الله بقلب سليم بناء على ادخال سلامة القلب في
جنس الغنى لاشتراكهما في الثمرة اي سعة الحال وقطع الاحتياج لان من سلم قلبه عن الشرك
والمعاصي والاخلاق الذميمة يكون قلبه منورا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله تعالى
وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ما روي انه قيل لرسول الله عليه السلام لو علمنا اي المال
خير اتخذناه فقال عليه السلام افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه
قصه يوم لا ينفع مال بدل من يوم يبعثون قصه و ازلفت الجنة عطف على قصه يوم يبعثون كانه قيل ويوم
ازلفت قصه وقيل لهم اي وقيل للغاوين على جهة التوبيخ والتوبيخ اين آلهتكم التي تعبدونها
من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمتنعون عنه بانفسهم وبالتفعل هنا
مطاوع فعل ثم يؤمرهم فيلقون في النار فذلك قصه فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون
قصه تقرير الكبت اي تكرير عينه بفكه اياه بناء التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا
يقال كببت الاناء وكببته كبا اذا قلبته فانكب وكبكبوا اكبوا فاستثقل اجتماع الباءات فابدلت
الثانية كافا كما في زحلوف فان اصله زحح من زحه يزحه اي نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل
فقيل زحزحه اي باعده جعل التكرير في لفظ كبكب دليلا على التكرير في معناه كانه اذا القي في جهنم
ينكب مرة بعد اخرى يبلغ قعرها قصه اجمعون تاكيد للجنود لم جعل مبتدأ خبره ما بعده فيكون الضمير
الذي في قصه قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اي يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم
مع بعض بخلاف ما ذكر في قصه تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين قوله ولانا
للتضير اي ولم لم يجعل قصه وجنود ابليس مبتدأ يكون اجمعون تاكيدا لضمير كبكبوا وما عطف عليه من الغاوين والجنود
قوله وكذا التضير المنفصل اي وكذا يكون التضير المنفصل في قالوا وهم وما يعود اليه في قصه يختصمون راجعا الى

ضمير كبكبوا وما عطف عليه ج اى على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدأ الآن الاختصام يكون بين هولاء المذكورين
من التضمير الاصنام والعبدة والجنود اى شياطين ابليس وهم ذرية الذين اضلوا بني آدم يجادل بعضهم
مع بعض بان ينطق الله الاصنام فتخاصم العبدة قوله ويؤيد اى يؤيد كون التخاصم بين العبدة و
المعبودين بان يرجع الضمير المنفصل وما يعود اليه اى ضمير كبكبوا وما يعطف عليه خطاب المعبودين في قوله
نسويكم وضمير قالوا للعبدة قوله ويجوز ان يكون الضمير المنفصل وما يعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون
التخاصم لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجادات في قوله اذ نسويكم على وجه النداء والتحسر من غير ان
يحييها الله وينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بالانهماك في الضلال عن الهدى يقولون
وما اضلنا الا المجرمون اى الشياطين وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل اى كل من دعانا اى
عبادة الاصنام من الجن والانس فكل تعالى حكاية عنهم ربنا اطعنا سادتنا وكبرآءنا فاضلونا السبيلا
قوله اذ نسويكم ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة في في قوله لفي ضلال قوله روحانا من شافعين ولا صديق
من تعدادهم الفرق بين الوجه الثالث في المنفي في الوجه الاول مطلق الشفيع والصديق وفي الثاني شفعاء
اشخاص مخصوصين وصداقتهم من عدوهم شفعآء واصدقآء وفي الثالث ما نفوا النفس الشفعآء والاصدقآء
ولا شفاعتهم ولا صداقتهم وانما نفوا نفعها على سبيل الكناية من حيث انه ما لا نفع له في حكم المعدوم قوله
كالحنين مصدر حن اليه يحن حنينا اى اشتاق عليه من الحنين وهو الشوق وتوق النفس والتصهيل صوت الفرس
يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا قوله لتلاقيهما في معنى التقدير اى تقدير المعدوم وفرضه فان معنى لو
ما لا تقدير المعدوم كانه قيل في قولك لو كان كذا لكان كذا ما لا تقدير المعدوم الا انه في التمني متروك
بالطلب فلو لبس لك ويدل على ان لو ههنا للتمني انه نصب جوابه مع الفآء ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف
الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت اى لو وجدنا شفعآء واصدقآء وعلى هذا يكون نصب قوله فنكون بان مضمرة
عطفا على كرة كقوله لبيد عباءة وتقر عيني قوله تعالى واتبعك الآ ارذلون جملة حالية من الكاف لكن باضمار
قد او لتزدانه الخسيسة والذلة وانما استرذلوهم لقلة جاههم وقالهم قوله وما علمي الظاهر انه ما كلفهم البحث
في محل الرفع على الابتداء وعلى خبرها ويجوز ان يكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقديرين وعلى الثاني
لا بد من اضمار الخبر ليتم الكلام قوله وايا هم معطوف على اتباع المتقين ودليلا معطوف على ما نعالي اي
وجعلوا ايمان المتقين دليلا على بطلان ما يدعوهم نوح اليه قوله اظهارا لما يدعوهم عليهم لاجله يعني ان قوله

ربت

ربت لنا قومي كذبون لم يقله نوح مع افادة انه تعالى يضمون هذا الخبر ولا يكون عالما بمضمونه لعلمه بانه تعالى
عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد به اني لا ادعوك عليهم لاجل تحقيقهم اياي بل ترحم واستخفافهم اياي
بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعوك عليهم لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فافتح بيني وبينهم فتحا اى افاصل واحكم بيني وبينهم قضآء وحكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم
سمي به لفتحه المنغلق من الامر كما سمي فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم بانزال العقوبة عليهم
لقوله عقيبه ونجني ولان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعد معنى فصه تغيثون جملة حالية
جملة رتبة وهو في اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطرق اعلاما طرقا لا
يهتدي الطارق بها في اسفارها فعدت هود عليه السلام عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم قوله ما خذ للآء
يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل ههنا على بابها والمعنى وتتخذون ارضا ترجون الخلود وقيل معناه
التشبيه اى كانكم تخلدون اتبعون فيما خالدين ويؤيده ما في حرف ابي كانكم تخلدون اتبعون فيما يهتم
الناس بتحقيقه ومشدد اذ فتهم اولا باضاعتهم المال عبثا بلا فايدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على
طول الامل والغفلة تتخذون اتخاذ من يؤمل الخلود في الدنيا قوله غاشمين اى ظالمين من الغشم وهو التظلم
والبطش التسطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس رضي الله عنه اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف فعلتم
الجبارين اى كان ذلك ظلما وعلوا بلا رأفة ودآعية حكمة والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب قوله
ونغير شق التقى يعني ان المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين
الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم
كونه من اهل الوعظ والنهي وبباشريه اصلا بمنزلة ان يقال سوآء علينا اوعظت ام كنت ممن لا اصلا
ولا شك ان ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ ولقائل ان يقول انما يكون
هذا ابلغ ان لو لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لكنه ابلغ منه ولذا قالوا ان
قول الزمخشري في خطبة المفصل احمد الله على ان جعلني من علمآء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما
بالعربية ويمكن ان يجاب بان المقابلة بين قوله وعظت وبين قوله ام لم تكن من الواعظين يأبى الحمل
على الكمال ويوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من اهله ومباشريه اصلا قوله وقرأ نافع وقرأ الباقون وابن
ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاولين بفتح الخآء وسكون اللام وهو ايضا بمعنى الاختلاق والكذب كما

مز فاعل ينبنون و
البيع بكسر الرآء و
فتحها هم

من تخلدون نها

يقال خلق الافك واختلقه اى افتراه ومنه قصة تم وتخلقون افكا اوبمعنى الخلقة والتكون فعلى الاول
يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود عليه السلام وعلى الثانى يكون اشارة الى خلقة القائلين والخلق بمعنى
وبواضح العادة فعلى هذه القراءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود ولن يكون اشارة الى
ما هم عليه من الدين اومن الحيوة والموت انكار لان يتركوا كذلك المعنى انتظنون انكم تتركون فى
الذى سلمتم فى هذا المكان من النعيم ولن لادار للمجازات والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثانى يكون الهمزة
لتقرير تخلية الله اياهم فى الاسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعد النعمة ثم فسره
بقوله لتن قصه فيما يهمنا مجمل فصله بقوله امدكم بانعام وبنين وجنات لطيف لين فيكون المضيم
من المضم بفتحتين وهو الرقة والنزال الجوهرية المضم بالتحريك الجنبين وهو فى الفرس عيب يقال لا يسوى
اهضم من غانية تغيرة ابدا وكون طلع النخل مضيما قد يكون للطف الثمر فقد يكون لكون النخل لنشى فان
تغيبة
طلع البرنى الطف من طلع اللون والبرنى اجود التمر واللون الذكر وهو اردء التمر والهجل بينة
يتمون ما عدا البرنى والعجوة العانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون مضيما بل يكون غليظا صلبا ثم فسر
الطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ العنقود والشماريخ جمع شمراخ ويقال
شموخ ايضا كاقتعال والعثكول اثنانية العنقود وكل غصن من اغصانه شمراخ و
هو الذى عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود من الكرم والوجور اصل
العذق وهو العود الاصغر الذى فيه شماريخ العذق وهو فعلون من الانفراج وهو الانعطاف والواو
الاصغر
والنون فيه زائدتان تقطع منه الشماريخ فيعوج ويبقى على النخل يابسا شبه الله به القمر فى ليلة ثمان
وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما دقيق مقوس قوله او تدل
منكم عطف على قوله لطيف الين فيكون من المضم بمعنى الكسر يقال هضمه حقه اذا ظلمه و
كسر عليه حقه والتدلى التسفل والتنزل من موضعه يقال تدلى من الشجرة و افراد النخل بالذكر
مع اسم الجنة يتناول النخل على سائر ما فى الجنات وغيرها مما يقصد اثباته فى البساتين للتنبيه على
فضل النخل على سائر ما فى الجنات حتى كانه ليس من جنس يدل عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير فى الوصف
منزلة التغاير فى الذات اولان المراد بالجنات ما عدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على ما يشتمل على
جميع اشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف

النخل

النخل عليه دليلا على ارادة البعض قوله بطرين او حاذقين قال ابو عبيدة فرهين فارهين يقال
هما بمعنى مرحين بطرين اشرين وفرق الجوهرى بينهما وقال الفاره الحاذق بالشىء من فره بالضم
يفره فروهة وفراهة وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر فمن قرأ بيوتا فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين
جعله من فره بالضم قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآية يدل على ان الغالب على ثمود هو اللذات الجثمانية
وهى طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهى طلب المأكول
والمشروب والمساكن الطيبة انتهى فقال صالح عم لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ اتتركون وتخلون
ثم قال فاتقوا بترك هذه الاشياء واطيعون وتحتمل ان يقول على سبيل التذكير النعمة ويلتمد عليه شكرها
يتقوله
قوله استعيرت الطاعة وايثر المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال
يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا امره فلما قيل فى هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين تعين المصير
الى المجاز وذلك لما بان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضى الى وجود المأمور به فاطلق
اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله تعالى ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية
التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم وانما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازى فان حق الطاعة ان يتعلق
بالآمر فنسبك امره وجعل الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما وصف موضح لاسرافهم
حيث تبين به ان المراد بالاسراف اسرافهم على نفسهم بالتمرد على الله فيدخل فى المسرفين
كل من اسرف فى الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل من شعة رهط الذين عقروا
الناقة وغيرهم الذين سحروا كثيرا على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من
المسحورين مرة بعد اخرى وعلى ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد
اخرى وعلى ان يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين كما اقترحوا عليه متعلق
بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا ان بدا ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة
فتلد سقبا مثلها فتفكر صالح فقال له جبرئيل عم صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فتحركت
الصخرة وانصدعت وخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها فى العظم على ما روى الاشعرى رأيت مشركى
العرب يقولون هذا فواهو ستون ذراعا فى ستين ذراعا ثم وصفها صالح بامرين الاول قوله لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم فى اليوم الثانى
السقب الذكر من ولد الناقة ذكرا

الذي لا تشرب هي فيه والثاني قصه ولا تمسوها بسوء ثم لتم منبطعا اتاها ايا مضيين في
شعب فرماها بسهم فسقطت ثم مرها فمار في عرقوبها قصه لان عاقرها انما عقرها برضاهم
روي لتم عاقروها قال لا اعقرها حتى ترضوا جميعهم كانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيعقرون
لها اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم قوله فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
فيكون الآية دليلا على حرمة ادبار الزوجات والمملوكات قوله اي اتأتون من بين من عداكم فعلى هذا
الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل اتأتون انكر عليهم تعرضهم لاختصاصهم بهذا الفعل الشنيع
من جملة العالمين اي الناكحين وعلى انه يكون حالا من الذكران. جمع الذكر ضد الانثى انكر عليهم
اختيارهم الذكر لتم من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم قوله او احقاء بان توصفوا بالعدوان
اي انتظلم لانفسكم بفعل عدا عليه وتعدى عليه واعتدي عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجه لا ينظر اي
متعلق العدوان اصلا فوجه الاخراج على هذا انه جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه
بقصه اترتكبون هذه الجريمة ثم اضرب عنه اي ما هو ابلغ في التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم
عادون اي احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابها كانه قيل بل هو معظم الجرائم والمعاصي لا يستحق
المرأ لان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالمفعول
مرادا قال لهم بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد شهوة سائر
الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد في ارتكاب جميع المعاصي وهذا الاتيان من جملة تعديكم وافراطكم قوله
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف يعني انهم لم يقولوا لتخرجنك بل قالوا لتكونن من المخرجين
بلام العهد للمبالغة في الوعيد والاشارة اي انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة فعلوه
بغيره ولا مانع جاز هذا الاحتمال لان يكون اللام لجنس المخرجين ويكون اشارة اي انهم اخرجوا كثيرا من الناس
وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله عز وجل عن
لاجعلنك من المسجونين قوله من المبغضين يعني لتم قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقصه
من القالين متعلق بمحذوف اي لقال من القالين ومبغض من المبغضين فذلك المحذوف وهو قال ضرورة
اني ومن القالين صفته وقصه لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل من القالين خبر ان لعمل القالين في
لعملكم فيقضي الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء لقال من القالين في صفة للخبر متعلقة

مخطوطات الرياض

بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة على الموصول اذ لو جعلت من
القالين الخبر لا علمكم في لعملكم قوله لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد كانه قيل كيف انتهى عن نهيكم و
تقبيح امركم واني لعملكم من القالين وقيل في وجه كونه جوابا كونه جوابا عن ايعادهم اياه بالاخراج
لتم معنا كيف توعدوننا بالاخراج من بينكم واني لعملكم الذي تعلمون من المبغضين اكره المقام فيكم
وابغض رؤية عملكم الذي تعلمونه فيكون في اخراجي ايصال الراحة الي ولولا امر الله اياي بالمقام فيكم
لادعوكم الى الحق لما كنت اقيم بينكم لشدة بغض عملكم قوله مقدر بالباقين في العذاب يعني
لتم في الغابرين صفة لمجوزا ولتم المراد بالغابرين الباقين في العذاب وما كان ظاهر النظم دالا
على لتم المجوز موصوفة بكونها باقية في العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين
الذين دمرهم الله بعد تنجية الناجين بحكم كلمة ثم في قصه نع ثم دمرنا الآخرين ذكر لتم ليس معنى الكلام
الا عجوزا غابرة اي باقية في العذاب بل المعنى الا عجوزا مقدرا غبورها في عذاب الشذاذ الخارجين من
القرية المؤتفكة بالامطار عليهم فانها خرجت من بين القوم مع لوط ذم كسائر اهله فصارت من
شذاذ القوم فاهلكت باهلاك الشذاذ وهو صفة لما وقعت التنجية ثم نقل توجيها آخر وهو
لتم يكون المعنى الا عجوزا غابرة في القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لما وقعت
التنجية قوله على شذاذ القوم اي على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمر الله بائتفاكها بهم
عليهم والخسف بهم فيكون المعنى لتم الله تعالى دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والامطار ودمر من كان في
بلادهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها بالامطار قال تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها و
امطرنا عليهم حجارة من سجيل ائتفكت البلاد باهلها اي انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد
التي قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله
تعالى بالائتفاك بهم حتى انبعهم مطرا من حجارة قوله حتى يصح وقوع المضاف اليه اي وقوع الاسم الذي
اضيف اليها المنذرين فان شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا باللام او مضافا الى
المعرف به او مضمرا مميزا قوله الايكة غيضة اي موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل عنه الى المواضع
الغائرة فينبت فيه الشجر وقد يطلق الايكة والغيضة على نفس الاشجار الناعمة الملتفة قوله
وقرئت كذلك مفتوحة اي قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على انه ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فذلك

خففت
فحذت في موضع الجر ومن قرأ قال اصله الايكنة على لغة ايكة اسم جنس عرف بلام التعريف ثم
الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت للساكنين واستغنيت عن الف الوصل لان اللام قد
تحركت فلا يجوز على هذا الا الجر كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بالحمر رد
فان شئت كتبته في الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز
الا الجر بالاضافة كما لا يجوز في الايكة الا الجر قوله وكان شعيب اجنبيا منهم وكان اخا مدين في النسب
فلذلك قال تعالى في آية اخرى واخاهم مدين اخاهم شعيبا ثم انه ع كلفهم بامورا مرهم اولا بايفاء الكيل
ونهاهم عن التطفيف لانه في الكيل والبخس في الوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي
من الناقصين ويقال خسرت الشيء بالفتح واخسرته اي نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باي طريق
كان كنقص العدد والذرع ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتطرف بغير اذن صاحبه
ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه قوله ففعلا اس
بتكرير العين الظاهر ثم يقال فعلاع لان التكرار يقتضي ان يوزن المكرر بلفظ ما قبله ثم
نهاهم عن افساد شيء مما خلقه الله وصور على طريق الافساد بقصه ولا تعثوا في الارض
مفسدين يقال عثى في الارض يعثوا اذا افسد وكذلك عثى بالكسر يعثى واما قيد بقوله مفسدين
لان افساد الصورة والخلقة وان غلب في الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة النظام
المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة وذوي الجبلة
على اي اجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها
جمع كسفة وهي القطعة كسدر وسدرة في جمع سدرة فقال عليه السلام في جوابهم ربي اعلم بما تعملون
يريد انه اعلم باعمالكم وبما يستوجبون عليها من العقاب فينزله عليكم في وقته المقدر له على نحو
ما اقترحوا بقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب
لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعدما حبس عنهم الريح وسلبوا عليهم الحر الشديد سبعة ايام فاخذ
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء وكانوا يدخلون للاسراب فيجدونها اشد حرا فاضطروا الى ان
خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحرقتهم
واما على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فجئ بكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه قد

واطراد

واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل
بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان ذلك بسبب قران الكواكب واتصالها
على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل
ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله قد ينزل العذاب محنة للمكلف
وابتلاء لهم على ما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلى المؤمنين بانواع البلايا
فلو كان نزول العذاب على هؤلاء الاقوام دليلا على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى
ذكر قصص الانبياء لرسول الله ع اتبعه بذكر ما يدل على نبوته فقال وانه اي وانه القرآن اي ما
نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اي لمنزله على سبيل التنزيل بمعنى المنزل او
لذو تنزيله على حذف المضاف وجاز عود ضمير انه الى القرآن ولم يجر له ذكر للعلم به والقرآن المنزل
لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرا لحقيقة تلك القصص
وتنبيها على اعجاز القرآن كانه قيل لعلم يكن تنزيل رب العالمين لما قدرت على الاخبار عما فيه من المغيبات
وثبت صدقك في دعوى الرسالة لان اخبار مثلك عن مثلها لا يكون الا بطريق الوحي وقوله بعد
وانه لفي زبر الاولين كالتأكيد لهذا المعنى فانه عليه السلام لما ذكر هذه القصص السبع على ما هي موجودة
في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دل ذلك على انه ليس الا من
عند الله قرأ نافع وابن كثير وحفص نزل مخففا وقرأ الروح الامين مرفوعين على اسناد الفعل
الى الروح وكون الامين صفته وقرأ باقي السبعة نزل بالتشديد مبنيا للفاعل وهو الله ونصب الروح ... الامين على انه
الروح الامين به وصفته ومعنى التشديد نزل الله الروح الامين به اي جعل الله الروح نازلا به ومعنى
التخفيف نزل الروح به والباء في به على القراءتين للتعدية او للملابسة فعلى الاول تتعلق بنزل و
على الثاني تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك تكون متعلقا بنزل ويجوز ان يتعلق بتنزيل والمعنى
انه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل
الروح الامين الا ان هذه الجملة لما كانت اعتراضية جيء للتأكيد لم تكن اجنبية وان مثل هذا الفصل
مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وكفى جبريل وصاحبه سببا لكون قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة
من حيث ان الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يديه وقيل لانه روح كلها وليس في جبريل روح

وسمي امينا لانه مؤتمن على ما يؤدّيه الى الانبياء عليه السلام والقلب ان اراد به الروح فذاك
اي فذاك هو الذي نزل عليه القرآن الملتبس بكسوة الحروف والالفاظ فانه انما نزل على رسول الله
وهو بيس عبارة عن مجرّد الجسد وليس للجسد حظ من ادراك المعاني الروحانية والقلب وسائر الاعضاء
والحواس آلات الادراك والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد
بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاق فح يكون جعل القرآن نازلا على قلبه مع انه نازل
عليه لا عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوة التعقل والفهم فان الروح انما يدرك تلك
القوة المودعة في القلب فلا جرم ينتقل المعنى الروحانية النازلة على الروح الى القلب لما بينهما
من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة التعقل والفهم
هو الدماغ لا القلب استدلالا بان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التي
هي آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فانها رأس المصراة الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التي
يستعين بها الروح في ادراك المعاني فذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور آثاره
فالقرآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به فكساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله
الى جبرئيل وجعله امينا عليه لئلا يتصرف في حقايقه ثم نزل به جبرئيل كما هو على قلب رسول الله ففهمه
وتمكن من تفهيم غيره وخلق بخلقه وتصور بانوار وتجلى بحقايقه والرسول مختص بهذه الرتبة
العالية والكرامة السنية من بين سايرالانبياء عليهم السلام فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحايف
جملة واحدة فهي منزلة على صورهم وطواهرهم لا على قلوبهم ح فهو متعلق بنزل فيكون حرجا
في ان القرآن انما نزل عليه عربيا كما قال في آية اخرى انا انزلناه قرآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية
من ان الله تعالى انزل على قلب عليه السلام غير موصوف بلغة ولسان ثم ان الرسول ع اداه بلسانه
العربي المبين من غير ان انزله كذلك لكن هذا فاسد مخالف للنص والاجماع مولد وان ذكر لما كان ظاهر
النظم يدل على ان عين القرآن العربي المبين مثبت في سايرالكتب السماوية فظاهر انه ليس
كذلك اصحيح ايا تقدير المضاف اي ان ذكر القرآن وانزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان
وان اصول معانيه مثبت في كتبهم على المتهم معنى انه تعالى اظهارا لفضله اخبر في كتبهم عن القرآن
وانزاله في آخر الزمان او انه تعالى بيّن اصول معانيه في كتبهم لان جميع ما فيه من الاحكام والا

مثال

مثبت

وهي كتبهم فيها وبه يحتج ابو حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة وهذا كقوله
ان هذا لفي الصحف الاولى وقال مقاتل تقدير الآية وان امر محمد ونعته وذكره لفي كتب الاولين
وهو كقولهم تجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهو تقرير لكونه دليلا يعني ان الاستفهام
في اولم يكن لهم تقرير بمعنى قد علم علماء بني اسرائيل به آية دالة على صحة نبوته ولنعم الآية الصغيرين ٢ كان ح
نبوته فانه قد روي ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا في المدينة يسئلونهم عن
رسول الله ع فقالوا انا نجد ذكره ونعته في التوراة وهذا اوان خروجه فكان ذلك آية على
صدقه وحقية امره وقرأ ابن عامر تكون بالتاء حرفوق وبرفع آية والباقون بكون بالياء
منه تحت وبنصب آية اما قراءة ابن عامر فيحتمل ان تكون فيها تامة ولنر تكون ناقصة فان كانت تامة ٢ يكون ح
يكون آية فاعلا لها ولنر يعلم بدلا منها او خبر مبتدأ محذوف ولهم حالا منها او متعلقا بكان اي اولم
يحصل آية كائنة لهم او اولم يحصل لهم آية وهي علم علماء بني اسرائيل او اولم تحدث لهم علامة علم علماء
بني اسرائيل ولنر كانت ناقصة جاز لنر يكون لهم خبر يكون مقدما على اسمها ويكون آية اسمها ولنر يعلم
بدلا او خبر مبتدأ محذوف وجاز لنر يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وفحوه آية لنر يعلم جملة اسمية
قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلقا على معنى كان الامر
هذا ولا يجوز لنر يكون آية اسم كان ولنر يعلم خبر كان لانه اذا اجتمع في باب كان معرفة ونكرة فالذي
يجعل اسم كان منهما هو المعرفة كما في المبتدأ والخبر وقد جرى عكس هذا في الشعر اذا اضطر اليه الشاعر
ولا يجوز مثله في التنزيل ولذلك جمع جمع السلامة اي ولم يكون جمع اعجمي لانه لو كان جمع اعجم لما جمع بالواو
والنون لانه مؤنث اعجم عجماء وافعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة فلا يقال احمرون مثلا والكاف في
كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اي سلكنا سلكا مثل هذا السلك في قلوب مشركي
مكة فيكون المشار اليه بقوله كذلك هو مضمون قوله سلكناه ويكون قوله لا يؤمنون به مقررا وموضحا لمعنى
قوله سلكناه في قلوب المجرمين اي يكون مستأنفا على جهة البيان والايضاح لما قبله ولنر كان ضمير سلكناه
للقرآن يكون الاشارة اي سلكه في قلوب المكذبين ويكون لا يؤمنون به مستأنفا لبيان عنادهم فقوله تعالى
فيأتيهم معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا معطوف على يأتيهم وظاهر النظم يدل على ان يكون مفاجأة
العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته وليس كذلك بل انه تعالى

اولا هو المفاجاة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لا يكون الفاء فيها للتراخي الزماني بل يكون
للتراخي الرتبي بان يكون المعنى لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب المليم اي الايمان به فما هو
اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجاة فيما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها
فانهم انما يرون العذاب عند معاينة ملائكة الموت او في الآخرة وهم يعلمون في ذلك الوقت ان لا
خلاص لهم ولا امهال وانما يسألونه تعللا واستراحا ثم انه لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته
يلجئهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون ح اي يسؤالهم النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب
اليها قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب في الدنيا مثل قولهم امطر علينا حجارة
من السماء وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك افبعذابنا يستعجلون اي
فكيف يستعجلون ما يأتيهم بغتة ويسئلون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لا يستعجل
ما فيه هلاكه ثم قال ح افرأيت اي افعلمت يا محمد ومعناه اعلم قوضع ما اغنى كلمة ما فيه يجوز ان يكون
استفهامية في محل النصب مفعولا مقدما لاغنى وما كانوا هو الفاعل وما فيه مصدرية والمعنى اي شئ
اغنى عنهم كونهم ممتعين ولم يكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اي لم يغن عنهم تمتعهم
شيئا وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من فوك امتع الله زيدا بكذا قوله ومحلها النصب
على العلة اي لقوله منذرون والمعنى لها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون حالة
لاهلكنا فان النفي فيه لما انتقض بالا وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى اي قولك اهلكنا
القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها ليكون اهلاكها تذكرا لغيرها ويحتمل ان
يكون ذكرى في محل النصب على انه مفعول مطلق لمنذرون من قبيل قعدت جلوسا لان انذر و
ذكر متقاربان كانه قيل منذرون تذكرة ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف من لفظه اي يذكرون
ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون ثم ان الله تعالى بعدما وصف القرآن بانه تنزيل رب العالمين
ونبه به على اعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفار انه القاه من الجن والشياطين و
كسائر الكهنة فقال وما تنزلت به الشياطين قوله في صفات الذات اي في اتصافها اللازمة ما ينزل على ح
لذوات الملائكة مثل كونهم احياء نورانية خيرة طاهرة عن دنس الذنوب والمعاصي
مستحيين الليل والنهار لا يفترون واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله تعالى كلها

صفات

صفات الذات على معنى انها قديمة قائمة بذات الله تعالى لكن المعتزلة تسموا صفات الله اي
صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل ما يصح ان يثبت وينفى فهو من صفات الفعل
كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء وما ليس كذلك كانت من صفات الذات كالعلم والقدرة
والحيوة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله بخلاف صفات الذات قوله ويطف
لسايد المكلفين فانا اكرم خلق الله عليه لما خوطبت بانك لو اتخذت من دوني آلها لاعذبنك مع ان اكرم
الخلايق عندي كان ذلك زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تبيخ عزيمته على ازدياد
الاخلاص قوله مستعار من خفض الطاير جناحه شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة
الاقارب والاجانب بخفض الطاير جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق اسم الخفض على الشبه على
سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق منه فعل واخفض بجناحك قوله ومن للتبيين لان من اتبع
اعم ممن اتبع لدين او غيره فان قبل من التبيينية يجب ان يكون اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام
والاحتياج الى البيان ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما
متحدان في الوجود ومتلازمان في المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرا الا ان يقال المتبعين اعم في نفس الامر من المؤمنين
لانه يتناول من اتبعه ع في امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الا من اتبعه ع في امر
الدين وبهذا الاعتبار صح ان يكون كلمة من للتبيين لا للتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم
مما قبلها على عكس من البيانية وانما جعل من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعيضية
وانما كان كذلك لانه لو اريد بمن اتبعك المتبعون في امر الدين ظاهرا وباطنا وبالمؤمنين ما هو اعم
من ذلك بان يراد بهم الذين شاركوا الايمان وكانوا بصدده وسماهم الله المؤمنين باعتبار
ما يؤل اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان يكون من للتبعيض بهذا الاعتبار كانه قيل
واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك واريد بهم الذين صدقوا باللسان فانه ايضا
اعم من الذين اتبعوه حقيقة قوله وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء بان جعلا ما بعد الفاء
كالجزاء لقوله فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من الجزاء المتقدم وقرأ الباقون بالواو وجعلوه
مجردا عطف الجملة على الجملة من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على
انه يقدر على قمع اعداء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصرة عليهم واعلاء كلمته برحمته

وقوله الذي يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف و ان يكون منصوب المحل
على المدح ومجرور المحل على انه صفة او بدل او بيان وقوله وتقلبك عطف على مفعول يراك اي
ويرى تقلبك الخ وصف الله نفسه بالرحمة ليوذن رسوله عم بانه بار رحيم عليه اتبعه ما هو كالسبب
لتلك الرحمة وهو قيامه اي التهجد في جوف الليل وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين ليطلع على
سرائرهم ويحتمل ان يكون المعنى يراك حين تقوم في الصلوة ويراك تتصرف فيما بينهم بالقيام
والركوع والسجود والقعود وقوله في الساجدين معناه مع المصلين في الجماعة فكان حاصل
المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلوة ويراك اذا كنت صليت مع المصلين جماعة و
الدندنة الصوت الخفي يقال دندن الرجل اذا اخفى كلامه وفي الصحاح الدندنة ان تسمع للرجل
نمنمة ولا تفهم ما يقول وقيل الدندنة الصوت والترنم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا
الى ان آباء النبي عليه السلام كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية وبالخبر اما هذه الآية فقالوا
قوله تعا وتقلبك في الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعا نقل روحه
من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن واذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة
انه لا منافاة ولا رجحان واما الخبر فقوله عم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطا
وكل ما كان كافرا فهو نجس لقوله تعا انما المشركون نجس فالوا ان تمسكتم على فساد هذا المذهب
بقوله تعا واذ قال ابراهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم
كما قال ابناء يعقوب عم نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق فسموا اسمعيل
أبا له مع انه كان عمه وقال عم ردوا علي ابي يعني العباس ويحتمل ان يكون متخذا الاصنام
آباء انه قال هذا قد يقال له للاب قال تعا ومن ذريته داود وسليمان وعيسى فجعل عيسى من
ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جدا من قبل الام ثم قال الامام واعلم انا نتمسك بقوله
تعا لابيه آزر وما ذكروه صرف اللفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعا وتقلبك في الساجدين
على جميع الوجوه فغير جايز لما بينا ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث
فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن اي الافكون يلقون السمع على ان يكون السمع في محل
الجر على انه صفة كل افاك بكسر الفا في معنى الجمع ويكون الضمير في كلها للافاكين قوله ويترامى بضم

خبر واحد

يراك

الفا

الفاف اي يصيبها يقال قرت على رأسه المآء اذا صبت عليه وقر الحديث في اذنه بقرة
كانه صبه فيها والذي قال عم كان قبل ان اوحي اليه وبعد ذلك فهو يسمع الآن بحدله شهابا
رصدا قال مقاتل ان الله اذا اراد امرا في الارض علم به اهل السموات من الملائكة فتكلموا
به فيما بينهم فتسمع الشياطين وترميهم الملائكة بالشهب فيختطعون الخطفة فذلك قوله يلقون
السمع انتهى فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين ويكون جملة يلقون السمع حالا من
الضمير في تنزل قوله وقد فسر الاكثر بالكل جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد
ما حكم عليهم بان كل واحد منهم آفاك وحاصله ان كونهم كاذبين معتبرين على الحق في اكثر ما يحكيه
عنه لا ينافي كونهم آفاكين كثير الكذب قوله ولا كذلك محمد فانه لا يتلقى ما اخبر به من الشياطين
فيزيد فيه كذبات كما يفعله الكهنة كيف ولم يظهر في اخباره عم عن المغيبات الا التصدق قوله
فعلمنا بذلك ان حاله خلاف حال الكهنة ثم انه تعا بعد ما بين حاله عم وحال الكهنة
بانهم كذابون كثير الاثم بخلافه عليه السلام بين ما يتميز به عن الشعراء فقال والشعراء يتبعهم الغا
اي الضالون ثم بين غوايتهم بامرين الاول انهم يهيمون ويذهبون في كل واد من الطرق
المختلفة بخلاف امر رسول الله عم فانه من اول امره الى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة
الى الله وطاعته والترغيب في الآخرة والتنفير عن الدنيا والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون فانهم
يرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون الناس باد شيء
صدر عنهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عم فانه قد كان زكى
نفسه الكريمة اولا ثم لم يدع من الناس احدا الا الى ما هو عم ماهر وراسخ او حدي فيه
فكيف تشبه حاله حال الشعراء والتشبيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر نسيبا اذا
ذكر صفاتها حسنها وذكر حاله معها في الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهن وعرض
الاشتياق اليهن والابتهار الاشتهار بواحدة من النساء يقال ابتهر فلان بفلانة اي شهر بها
ويقال ايضا على ادعاء الشيء كذبا والحرم حرم الرجل اهله وسكان حرمه من نحو زوجته وامه
وبنته ثم انه تعا لما وصف الشعراء بهذه الاوصاف الذميمة بينا لما بينه عم وبينهم من البون
البعيد استثنى عنهم شعراء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا الخ

لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همتهم وهجيراهم وقيل المراد باكثار ذكر الله ان يكون شعرهم في التوحيد والثناء على الله تعالى وفي النبوة ودعوة الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ما ظلموا اي لا يبدؤن هجوا الا على سبيل الانتصار ممن هجاهم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء بقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم عن ابن رواحة رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعراء الاسلام وقال كعب بن مالك رضي الله عنه يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده فكانما تنضحونهم بالنبل اي ترمونهم بالسهم وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واعلم ان الشعراء طبقات الجاهليون كامرأ القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعراء الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير والمستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابي تمام والبحتري ولا يستشهد بشعرهم قوله لما في سبعلم من الوعيد البليغ لان السين يدل على ان ذلك كائن لا محالة قوله حين عهد اليه اي حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم اي الم اوص اليكم يعني انه لما ايس ابو بكر من حيونة سلسلكتب عثمان رضي الله عنهما كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن قحافة الى امير المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر ثم قال بعد ما غشي عليه وافاق اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظننت فيه ولم اعلم بعدل سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال الزجاج اي منقلبا منصوب بينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لان ايا وسائر اسماء الاستفهام وهو متعلق لسيعلم سادا مسادّ مفعوليها وقال ابو البقاء اي منقلبا صفة لمصدر محذوف اي ينقلبون انقلابا اي منقلب وردّ بان ايا الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فان اي تنقسم الى اقسام كثيرة وهي الشرطية والاستفهامية والموصولة وما تكون صفة وغير ذلك ثم ما يتعلق بشؤن الشعراء والحمد لله كثيرا لآلاء والصلوة على سيد الانبياء وعلى آله واصحابه الاتقياء

مخطوطات جامعة الرياض